



# قضايا الدين والحياة

رؤية عصرية

إعداد

الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة

إشراف وتقديم

د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م



الهيئة المصرية العامة للكتاب





الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

الإشراف التحريري

د. محيي عبد الحي

الإخراج الفني

مرفت عنتر النحاس

تصميم الغلاف

نسرين كشك

المراجعة اللغوية

د. حسن أحمد خليل

المتابعة

شريف عبد العزيز

الطبعة الأولى: الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٢٠٢١

ص.ب ٢٣٥ ومسيح

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق القاهرة

الرمز البريدي: ١١٧٩٤

تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخل ١٤٩

فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتغيب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب



قضايا الدين والحياة

رؤية عصرية

إعداد

الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة

إشراف وتقديم

د. محمد مختار جمعة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٠٩ / ٢٠٢١

9 3027 - 91 - 977 - 978 I.S.B.N

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة العامة للكتاب. يحظر إعادة النشر أو الاقتباس بأية صور إلا بإذن كتابي من الهيئة العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

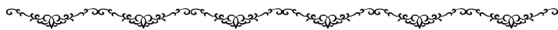


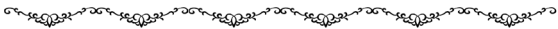


بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا  
تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٨]





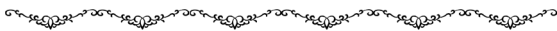


بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين. وبعد:

فإن العلاقة بين الدين والدولة ليست علاقة عدااء ولن تكون، إن تدينا رشيداً صحيحاً واعياً وسطياً يسهم وبقوة في بناء واستقرار دولة عصرية ديمقراطية حديثة تقوم على أسس وطنية راسخة وكاملة، وإن دولة رشيدة لا يمكن أن تصطدم بالفطرة الإنسانية التي تبحث عن الإيمان الرشيد الصحيح، وإن من يتوهمون صراعاً لا يجب أن يكون بين الدين والدولة ويرونه صراعاً محتماً إما أنهم لا يفهمون الأديان فهماً صحيحاً أو لا يعون



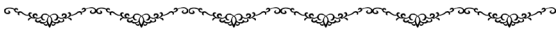


مفهوم الدولة وعياً تاماً، فالخلل لا علاقة له بالدين الصحيح ولا بالدولة الرشيدة، إنما ينشأ الخلل من سوء الفهم لطبيعة الدين أو لطبيعة الدولة أو لطبيعتها معاً أو لطبيعة العلاقة بينهما.

الدين والدولة لا يتناقضان، الدين والدولة يرسخان معاً أسس المواطنة المتكافئة في الحقوق والواجبات، وأن نعمل معاً لخير بلدنا وخير الناس أجمعين، أن نحب الخير لغيرنا كما نحبه لأنفسنا، الأديان رحمة، الأديان سماحة، الأديان إنسانية، الأديان عطاء.

الدين والدولة يتطلبان منا جميعاً التكافل المجتمعي، وأن لا يكون بيننا جائع ولا محروم ولا عارٍ ولا مشرّذ ولا محتاج.

الدين والدولة يدفعان إلى العمل والإنتاج، والتميز والإتقان، ويطاردان البطالة والكسل، والإرهاب والإهمال، والفساد والإفساد، والتدمير والتخريب، وإثارة القلاقل والفتن، والعمالة والخيانة.





ومن هذا المنطلق تأتي معالجة هذا الكتاب لعدد من القضايا الفكرية والحياتية والمجتمعية تشمل: أهمية التخطيط في حياة الفرد والمجتمع، وحماية الشأن العام والمصلحة العامة، ومفهوم عهد الأمان في العصر الحاضر، وفروض الكفايات ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي، وترتيب الأولويات وأثره في حياة الفرد والمجتمع، ورعاية المسنين وحماية حقوقهم، والضوابط الشرعية للإنجاب، وحق الطفل في الرعاية والنشأة الكريمة، وخطورة الإدمان والمخدرات على الفرد والمجتمع، وضوابط الأسواق وآدابها، والإتقان سبيل الأمم المتحضرة، بما يؤكد عدم التعارض بين الدين والحياة.

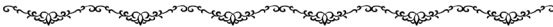
والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

**أ.د. محمد مختار جمعة مبروك**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف







## أهمية التخطيط في حياة الفرد والمجتمع

إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَخْلُقِ الْإِنْسَانَ عَبَثًا، بَلْ جَعَلَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ رَسُولًا، وَهَدَفًا يَسْعَى لِتَحْقِيقِهِ، قَالَ ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ [سورة المؤمنون، الآيتان ١١٥، ١١٦].

وهذا الهدف لن يتحقق إلا بتدبير وإعدادٍ وتخطيطٍ، فالإنسان الذي يسير على غير هدى لا يعرف له وجهة، ولا يدرك له غاية، فهو إنسانٌ تتعاوره الضربات لتسقطه صريع المحن، بئس الحال، شقي النفس، قليل الإنجاز أو عديمه.

قال عمر ﷻ: «إِنِّي أَكْرَهُ الرَّجُلَ أَنْ أَرَاهُ يَمْشِي سَبْهَلًا» أَي: لَا فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَلَا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ. (الآداب الشرعية لابن مفلح)، وقد صح في الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷻ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

﴿نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ  
وَالْفَرَاعُ﴾ (صحيح البخاري) .

والتخطيط للمستقبل أخذٌ بالأسباب، وهو لا يتنافى مع التوكل على الله ﷻ، فلا حرج على المسلم أن يقول: «إن شاء الله سأفعل كذا»، قال ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأْنِي إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ غَدًا ۗ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﷻ [سورة الكهف، الآيات ٢٣، ٢٤]، وقد أشار القرآن الكريم في قصة ذي القرنين إلى أنه أخذ بالأسباب، وخطط للمستقبل، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ﴾ (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۗ﴾ (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۗ﴾ (٩٥) ءَأَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ۗ﴾ (٩٦) فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ۗ﴾ [سورة الكهف، الآيات ٩٣-٩٧].

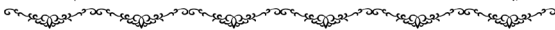
وفي قصة نبي الله يوسف ﷺ كان التخطيط سبباً لنجاة البلاد والعباد من مجاعة ومهلكة، وخطر



مصدق، قام بذلك نبي الله يوسف ﷺ في خطة  
استغرق تنفيذها خمس عشرة سنة، وذلك في تأويل  
يوسف لرؤيا الملك كما حكى القرآن الكريم على  
لسانه في قوله ﷺ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ  
فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي  
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿سورة  
يوسف، الآيات ٤٧ - ٤٩﴾.

لقد وازن سيدنا يوسف ﷺ بين الإنتاج المتقن  
والعمل الدعوب والاستهلاك الرشيد، والادخار  
المحكم، لقد أدرك المشكلة ففكر في الحل ولم ييخل  
به على من سجنوه ظلماً وعدواناً، فإن المصلحة  
العامه عنده مقدمه على المصلحة الخاصة، وهذه  
دروس بالغه الأهمية، فلا ينبغي الاكتفاء بعرض  
المشكلة فقط والوقوف عندها، بل ينبغي السعي  
لايجاد المخرج من الأزمة.

ومن أراد أن يتعلم التخطيط فليتأمل هجرة  
النبي ﷺ فقد كان ﷺ نموذجاً للقائد والمعلم، فتراه



وهو في رحلة الهجرة يخطط ويدبر ويشق في نصر الله ﷺ أولاً وأخيراً، إنه يأتي بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لينام في فراشه على سبيل التمويه، ويسلك طريقاً وعراً غير مأهول ولا معتاد، ويختبئ في الغار حتى يهدأ الطلب عليه وعلى صاحبه، ويدبر من يأتيه في الغار بالأخبار والطعام، ومن يعني على الآثار، ويحسن انتقاء من يقوم بكل مهمة، وهو في هذا كله متوكل على الله ﷻ، مُعلنًا أنه في معية الله ﷻ، فيقول لصاحبه: ﴿لَا نَحْزَنُ إِنْ أَتَى اللَّهُ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة، الآية ٤٠].

ومن حسن التخطيط والأخذ بالمشورة معاً ما كان منه ﷺ في يوم بدر حين قال لأصحابه: «أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْمُنْزِلِ» فَقَالَ الْحَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمُنْزِلَ أَمْنَزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللَّهُ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهْ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرَّأْيِيُّ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: «بَلْ هُوَ الرَّأْيِيُّ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ». قَالَ فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، أَنْطَلِقُ بِنَا إِلَى أَدْنَى مَاءِ الْقَوْمِ فَإِنِّي عَالِمٌ بِهَا وَبِقَلْبِهَا، بِهَا قَلِيبٌ قَدْ عَرَفْتُ

عُدْوَبَةَ مَائِهِ وَمَاءٌ كَثِيرٌ لَا يَنْزَحُ ثُمَّ نَبِيَّ عَلَيْهَا حَوْضًا  
وَتَقْدِفُ فِيهِ الْآيَةَ فَشَرِبُ وَنُقَاتِلُ وَنَعُورُ مَا سِوَاهَا  
مِنَ الْقُلْبِ. (سيرة ابن هشام).

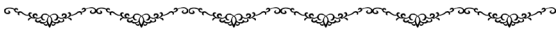
وفي يوم أحد يدير ﷺ المعركة باقتدار حقق به  
المسلمون النصر في أول المعركة، وهو يخطط للميدان  
تخطيطًا تميز بالمرونة، فقد انسحب عبد الله بن أبي  
ابن سلول بثلاث الجيش قبل بداية المعركة، ومع  
ذلك يعيد النبي ﷺ توزيع الجيش ليسيطر على  
الميدان، ويوزع المسلمين على أماكن القتال، وعندما  
خالف المسلمون الخطة دارت عليهم الدوائر،  
ففي حديث البراء رضي الله عنه قَالَ: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ  
وَأَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاءِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَبْرِ رضي الله عنه وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا إِنْ رَأَيْتُمُونَا  
ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا  
عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ  
النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَن سُوقِهِنَّ قَدْ  
بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ،  
فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ، عَهْدٌ إِلَيَّ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا فَأَبَوْا،

فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ فَأَصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا». (صحيح البخاري).

وفي يوم الخندق يخطط ﷺ ويستشير أصحابه، ويأمر بحفر الخندق حول المدينة (سيرة ابن هشام)، وهو أمر لم يكن معلومًا في خطط العرب في القتال؛ ليحافظ على الدولة من الأعداء المتربصين بها، المحاصرين لها، حتى كشف الله غمهم، وأزاح همهم. وإن من حُسْنِ التخطيطِ حُسْنَ توظيف المهارات، بأن تضع الرجل في موضعه المناسب ليحسن العمل، يظهر ذلك جليًا من خلال عدة مواقف للنبي ﷺ نذكر منها:

اختياره لأسامة بن زيد رضي الله عنه قائدًا لجيش من جيوش المسلمين على الرغم من صغر سنه. (سُنن أبي داود).

ترتيبه لقادة الجيش في يوم مؤتة؛ لأجل تحقيق النصر على الروم، حيث وضع كل رجل في موضعه. (صحيح البخاري).



اختياره لزيد بن ثابت رضي الله عنه؛ ليتعلم اللغة العبرانية ويتولى الترجمة له رضي الله عنه (سُنن أبي داود).

اختياره لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لمهمة القضاء في اليمن؛ لفقهه وعلمه وبراعته. (سُنن أبي داود).  
من هذا نرى مدى إدراكه رضي الله عنه لمهارات كل فرد من أصحابه، ومدى الاستفادة منها بحسن توظيفها.

وعلى المستوى الشخصي يوجه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى النظر للمستقبل نظرة تدبيرٍ وحسابٍ لصروف الزمن ومتغيرات الحياة، فها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُعَوِّدُنِي وَأَنَا مَرِيضٌ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ: لِي مَالٌ، أَوْصِي بِمَالِي كُلِّهِ؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: فَالْشُّطْرُ؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: فَالْثُلُثُ؟ قَالَ: «الْثُلُثُ وَالْثُلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةَ تَرْفَعَهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَرْفَعُكَ، يَنْتَفِعُ بِكَ

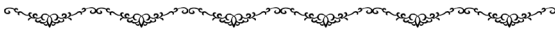


نَاسٌ، وَيُضَرُّ بِكَ آخَرُونَ». (صحيح البخاري)، فهذا توجيهُ إلى أمرين:

**الأول:** التخطيط للأسرة في مستقبلها المادي  
تخطيطًا يقيها صروف الزمان.  
**الثاني:** فضل النفقة على الأهل.

وقد تعلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا به يخطط للدولة الإسلامية فيقيم فيها الدواوين، ويرتب الولاية، وينظم بيت المال، وحين تتعرض الدولة لمجاعة في عهده يحسن إدارة الأزمة والتخطيط لمواجهتها، وهو بهذا الفكر وهذه الإدارة يقفز بالدولة الإسلامية الفتية قفزات واسعة، سادت بها الدنيا شرقًا وغربًا. (البداية والنهاية).

ثم جاء حفيده عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الذي أعاد التخطيط للبلاد؛ ليعيد توزيع الموارد للبلاد بالعدالة الاجتماعية المرجوة، ويخطط لاستغلال الفائض من الزكاة؛ ليعيد توزيعه فيما ينفع الناس، فيوزع على الفقراء، ثم يقضي الديون، ثم يُزوّج





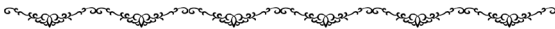


الشباب الذي لا يستطيع النكاح، ثم يعطي فقراء أهل الكتاب، ولحسن تخطيطه وصدقه مع ربه يبارك الله له حتى أطعم الحيوان والطيور على رؤوس الجبال. (أخبار عمر بن عبد العزيز للأجري)، فما أحوجنا إلى هذا التخطيط في حياتنا؛ لنحقق الكثير لديننا وأنفسنا وبلادنا!

إن العظماء هم الذين يعرفون هدفهم فيخططون لبلوغه، فإن كانوا أفرادًا كانوا ناجحين، وإن كانوا قادة كانوا لشعوبهم ملهمين وبالمسئولية قائمين.

إن بلدنا في حاجة ماسّة إلى أن نضع خططًا قويةً تنهض بحاضرها ومستقبلها في كل المجالات الزراعية والتجارية والتعليمية والاقتصادية والعسكرية والإدارية، ولا بدّ أن تراعي هذه الخطط الحفاظ على الكفاءات، وتُقيم مبدأ تكافؤ الفرص بما يحقق العدالة الشاملة، فبدون تخطيط سليم ووعي لمستقبلنا، وإدراك لما حولنا لن يتحقق لنا تقدم ورفاهية.

وفي الوقت الحالي تمر بلادنا بمنعطف خطير في تاريخها، لا يسمح بالفوضى، بل لا بد من الإعداد

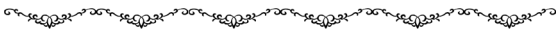




الجيد، والتخطيط السليم، والأخذ بالأسباب،  
وحسن التوكل على الله، والثقة فيه، فليحدد كل  
من رسالته وهدفه في الحياة، وليجتهد لتحقيق  
هدفه، وبلوغ أمله، فالتخطيط السليم والعمل الجاد  
ثمرتهما حياة طيبة وأجر حسن، قال ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ  
صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة  
النحل، الآية ٩٧].

وللتخطيط أهمية في حياتنا الخاصة، فقد قيل:  
«التدبير نصف المعيشة»، ويروى مرفوعًا: «ما عال  
من اقتصد» (مسند أحمد)، وحسن التدبير وتصريف  
الأمر وفق الإمكانيات المتاحة وعدم تكليف  
النفس فوق طاقتها أحد أهم عوامل استقرار  
الأسرة والمجتمع.

\*\*\*



## حماية الشأن العام والمصلحة العامة

لقد بنى الإسلام دولة حقيقية، أرسى قواعدها، وجعل لها مقوماتها، وحث على الحفاظ عليها، والذود عنها، وجعل حماية شأنها العام، والاهتمام به مسؤولية مشتركة بين أفرادها جميعاً، وكلما زاد الوعي بين أبناء المجتمع بقيمة الشأن العام وخطورته، كلما زاد التعاون والتكاتف والترابط للحفاظ عليه، ففتحقق للمجتمع قوة البنيان الواحد، وشعور الجسد الواحد الذي حث عليه نبينا ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ» (متفق عليه)، وقال ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى». (صحيح مسلم).

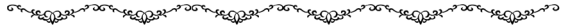
ومما لا شك فيه أن أحد أهم مقومات الحفاظ على الشأن العام: تقديم المصلحة العامة الواسعة



التي يعود نفعها على جميع الناس على المصلحة الخاصة الضيقة التي يعود نفعها على أصحابها فقط، تخلصا للنفس البشرية من شرور الأناية؛ ذلك أن المصلحة العامة تشمل كل ما يحقق إقامة الحياة للمجتمع بأسره من أمور مادية، ومعنوية، تجلب الخير والنفع للناس، وتدفع عنهم الشر والفساد، وتحقق حماية الوطن، واستقراره، وسلامة أراضيه، ولا شك أن تحقيق صلاح الأمة وعموم المجتمع هو ما يقتضيه فقه الأولويات.

لقد أكد القرآن الكريم أن الحفاظ على المصلحة العامة وتقديمها على المصالح الخاصة هو منهاج الرسل والأنبياء جميعاً، فلم يرسل الله ﷻ نبياً ولا رسولا إلا لإسعاد قومه، وتحقيق الخير لهم، دون مقابل مادي، أو منفعة دنيوية، قال ﷻ على لسان نبيه نوح ﷺ: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنِ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبَّهُمْ وَلَنْ كُفِّيَ أَرْكَؤُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ [سورة هود، الآية ٢٩].

وقال ﷻ على لسان نبيه هود ﷺ: ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا

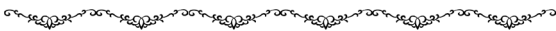




تَعْقِلُونَ ﴿ [سورة هود، الآية ٥١]، وقال ﷺ على لسان سيدنا شعيب رضي الله عنه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود، الآية ٨٨].

ولقد جاء الشرع الحنيف بما يتوافق مع العقل، ويتناسب معه، فرغب في أمور من شأنها أن تحقق المصلحة العامة لجميع أبناء الوطن، منها: تلبية حاجات المجتمع الضرورية، ومراعاة فقه الواقع، فإن كانت حاجة المجتمع إلى بناء المستشفيات وتجهيزها لعلاج الفقراء ورعايتهم، فالأولوية لذلك، وإن كانت حاجة المجتمع لبناء المدارس والمعاهد، وصيانتها، وتجهيزها، والإنفاق على طلاب العلم ورعايتهم، فالأولوية لذلك، وإن كانت الحاجة ماسة لتيسير زواج المعسرين، وسد الدين عن المدينين، وتفريج كرب الغارمين، فالأولوية لذلك.

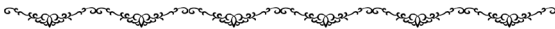
ف قضاء حوائج الناس والقيام بمتطلبات حياتهم من الواجبات الشرعية والوطنية، يقول صلى الله عليه وسلم: «مَا أَمَّنَ بِي مَن بَاتَ شَبَعَانَ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ» (المعجم الكبير للطبراني).





ومنها: الحفاظ على المال العام، فهو مما يشترك فيه المواطنون جميعاً، وحرمة المال العام أشد من حرمة المال الخاص؛ لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المألّكة له، ولذلك حذر الإسلام من إتلافه، أو سرقته، أو الإضرار به، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٦١]، فالمال العام ملكٌ للناس جميعاً، وليس ملكاً لفئة معينة منهم، والقائمون عليه إنّما هم أمناء في حفظه، وتحصيله، وصرفه لأهله، فلا يجلي لأحدٍ أن يعتدي عليه، أو يأخذ منه ما لا يستحق؛ لأن ذلك يعدّ خيانة وظلماً، وأكلًا لأموال الناس بالباطل.

كما أمر الإسلام بالحفاظ على المرافق العامة، كدور العبادة، والمدارس، والمستشفيات، والحدائق، وغيرها، حيث إنّها ملك للجميع، ونفعها يعود على الجميع، وحذر أشد التحذير من الاعتداء عليها، أو تضييعها، أو إفسادها بأي صورة من الصور، يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف، الآية ٥٦]؛ حتى لا يتوهم بعض الناس أنه



يجوز له أن يستغل الملك العام بالطريقة التي يريد، وكيفما شاء، بدعوى أن له حقاً شائعاً فيه، وهذا فهم خاطئ، فالواجب علينا المحافظة على المرافق العامة، وحمايتها والقيام على تنميتها وتطويرها؛ لأنها ليست لفرد دون فرد، ولا للجماعة في زمن معين؛ بل هي لنا جميعاً، وللأجيال القادمة.

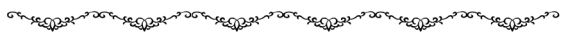
ومنها: الحفاظ على الطريق، ومراعاة حقه، فقد قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَاجْلُوسَ فِي الطَّرَقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «عَضُّ البَصْرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ» (متفق عليه)، وقال رسول الله ﷺ: «الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ لآ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» (متفق عليه).

ومنها: أداء الخدمة الوطنية التي تعد من أهم الواجبات التي يقوم بها الإنسان نحو دينه ووطنه،



وهي دليل على ولائه لبلده، وصدق انتمائه إليه، ومحبته إياه، فليس الوطن والعرض أقل خطراً أو مكانة عند المسلم من نفسه، أو دينه، أو ماله، أو متاعه، كما أنها تغرس في أبناء الوطن معاني الرجولة، والشهامة، والمروءة، والقيم النبيلة التي جاء بها ديننا الإسلامي الحنيف، يقول ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ؛ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ مُحْرَسٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (سنن الترمذي).

ومن المصلحة العامة التي يجب مراعاتها - حفاظاً على الشأن العام - ما يكون بين الدولة وغيرها من الدول، أو المنظمات، أو المؤسسات الخارجية من معاهدات؛ فإن أي إجراء فقهي، أو إفتائي، أو فكري، أو دعوي، لا بد أن يكون إجراءً مؤسسياً، صادرًا عن ولي الأمر، أو من ينيبه في ذلك، وعلى من يتحدث في مثل هذه الأمور أن يضع في اعتباره كل الملابس المجتمعية، والوطنية، والدولية المتصلة بالأمر الذي يتحدث عنه، حتى لا تصدر بعض الآراء والفتاوى الفردية المتسرعة في الشأن العام، بما



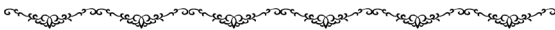




يصادم الواقع، أو يتصادم مع القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية، وقد أمرنا الحق ﷺ بالوفاء بالعهود، فقال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة، الآية ١]، فهذه الآية الكريمة عامة، تشمل كل العقود، والعهود، والالتزامات التي يلتزم بها الإنسان مع غيره، ويقول نبينا ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرْطًا حَرَمَ حَلَالًا، أَوْ شَرْطًا أَحَلَّ حَرَامًا» (سُنن الدارقطني).

وهذا رسول الله ﷺ يرد أبا بصير رضي الله عنه بعد صلح الحديبية، وفقاً للمعاهدة التي كانت بينه وبين قريش، مع احتمال تعرض هذا الصحابي للأذى؛ حفاظاً على العهد الذي عاهد عليه قريشاً، وهذا من باب الوفاء بالعهد من جهة، ومن باب تقديم وتغليب المصلحة العامة من جهة أخرى.

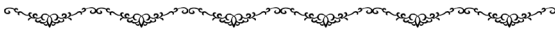
إن للحديث في الشأن العام - دون وعي، أو فهم - مخاطره التي تضرب في بنيان الدولة وعضدها؛ لأنه يجعل أمن الوطن واستقراره كلاً مباحاً، ومادة للسخرية، فيكثر اللغط، ويتحدث من لا يعلم فيما





لا يدري، وما أكثر المرجفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وقد أمرنا الحق ﷻ أن نرد الأمر إلى أهله، فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٣].

إن مفهوم الشأن العام يتجاوز اهتمامات الفرد المحدودة إلى اهتمامات جموع الأفراد، ومن أجل ذلك فأمره ليس مشاعاً لأفراد الناس؛ وإنما يقوم عليه متخصصون، يدركون قيمة ما أسند إليهم من مهام تتعلق بالأمن القومي، وحياة الناس، ومصالحهم، ومقدرات الأوطان، ووضعها الإقليمي والدولي، وشؤونها السياسية، والاجتماعية، والأمنية، والعلمية، وغير ذلك، وأهل العلم على أن المجتهد من أهل الاجتهاد والنظر، إذا اجتهد في مجال اختصاصه فأخطأ فله أجر، وإن اجتهد فأصاب فله أجران، ومفهوم المخالفة يقتضي أن من اجتهد من غير أهل العلم والاختصاص في غير اختصاصه،



وفيما لا علم له به، إن اجتهد فأخطأ فعليه وزران: وزر لخطئه، وآخر لجرأته على الفتوى بدون علم؛ وذلك لحرص الإسلام على احترام أهل العلم والاختصاص، حيث يقول الحق ﷺ: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل، الآية ٤٣]، وأهل الذكر هم أهل العلم والاختصاص في كل علم من العلوم بحسب المسئول عنه.

ومن ثم كان النهي عن التسرع في الفتيا بدون علم، أو سند شرعي، قال ﷺ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٤٤]، وقال ﷺ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل، الآيات ٤١١، ٥١١]، ويقول نبينا ﷺ: «مَنْ أَفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ» (سنن أبي داود).

وقد كان أكابر الصحابة والتابعين ﷺ يتخرجون من الفتيا، لعلمهم بخطورتها؛ فهذا هو الصديق ﷺ،

يقول: «أَيُّ سَمَاءٍ تُظَلِّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقَلِّبِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؟» (مصنف ابن أبي شيبة)، وسئل الشعبي رضي الله عنه عن مسألة، فقال: لا أحسنها، فقال له أصحابه: قد استحيينا لك، فقال: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة، الآية ٣٢] (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر)، وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من الأنصار، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يُسأل أحدهم عن المسألة، فيردها إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر).

وحماية الشأن العام مسئولية مشتركة، كل حسب موقعه، وقدراته، يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (متفق عليه).

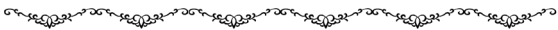
إن كثيرًا من الناس ربما يستهينون بما يتحدثون به، أو بما يكتبونه، أو بما يقومون بمشاركته على صفحات التواصل الاجتماعي، بل قد يراه بعض الناس صورة من صور التسلية، ولا يدركون أن صناعة الشائعات، وترويجها بين الناس وسيلة من وسائل الهدم التي يستخدمها أهل الباطل في صراعهم مع أهل الحق، فترى أمة الجسد الواحد يشكك بعضها في بعض، ويخون بعضها بعضًا؛ لذا قال النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمُرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» (صحيح مسلم)، فإذا كان تحدث الإنسان بكل ما يسمعه نوعًا من أنواع الكذب، يُعاقب عليه فائله عقوبة شديدة في الآخرة، فكيف بمن يتحدث بما لم يره، أو يسمعه، ولا علم له به، زورًا، وهتانًا، وافتراءً؟ وكم من كلمة كاذبة تبلغ الآفاق، فتكون سببًا في عذاب صاحبها يوم القيامة، حيث يقول نبينا ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي



لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (صحيح البخاري)،  
 مما يتطلب منا الحيطه، والحذر، والتعقل، وعدم  
 الخوض فيما لا نعلم، أو الفتوى بدون علم.

لقد أمرنا الحق ﷺ بالتثبت، وعدم الانسياق وراء  
 المخربين، والتحقق من كل الأخبار التي ترد إلينا،  
 حيث يقول ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَ كُرْ فَاسِقُ بْنُيَا  
 فَتَيْنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَجْهَلَةٍ فَنُصِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾  
 [سورة الحجرات، الآية 6]، وقال ﷺ: «الأناة من الله،  
 وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» (سنن الترمذي)، وقال ﷺ:  
 (التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي الْعَمَلِ الْآخِرَةِ) (سنن أبي  
 داود).

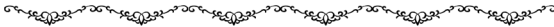
ألا ما أحوجنا إلى الوعي بقيمة الشأن العام،  
 وتغليب المصلحة العامة، وإدراك المخاطر التي تحاك  
 حولنا، ويراد لنا الانزلاق فيها كغيرنا، فلتتعظ  
 بغيرنا، ونفوت تلك الفرص على أعداء الدين  
 والوطن، ولتثبت متحدين على الحق، حتى لا نسقط  
 في مكائد أعدائنا المتربصين بنا، ولننشر الثقة بيننا،  
 ولنتعاون على كل خير يعود أثره على الناس جميعًا.





اللهم وفقنا لأداء حقوق وطننا علينا، واحفظ  
شعبنا، وولاية أمورنا، وجيشنا، وشرطتنا، واجعل  
مصرنا العزيزة أمناً آمناً، سخاء، رخاء، وسائر  
بلاد العالمين.

\*\*\*







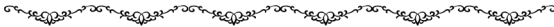
## مفهوم عهد الأمان في العصر الحاضر

إن الإسلام دين الأمن والأمان، والسلم والسلام، والبر والإحسان؛ ولا شك أن الوفاء بالعهد قيمة أخلاقية وإنسانية عظيمة، بها تُدعم الثقة ويتحقق الأمن والأمان بين الشعوب بعضها مع بعض، وتنمو بها أواصر التعاون والمودة والبناء والتقدم بين أبناء المجتمع الواحد، لذا كان الوفاء بالعهد شعبة من شعب الإيمان، ودليلاً من دلائل الصدق والإحسان، فهو أدب رباني جليل، وخلق نبوي كريم، وسلوك إسلامي قويم.

ولقد أمر الإسلام أتباعه بضرورة التحلي بخلق الوفاء بالعهود والعقود والمواثيق، وأكد على ذلك تأكيداً جازماً، فقال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٣٤]، وقال ﷺ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

[سورة النحل، الآية ٩١]؛ أي: التزموا الوفاء بكل عهد أوجبتموه على أنفسكم، سواء أكان فيما بينكم وبين الله ﷻ، أم فيما بينكم وبين الناس، ولا تنكثوا الأيمان بعد أن أكدتموها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً وضامناً حين عاهدتم، فمن أبرم عقداً وجب عليه احترامه، ومن أعطى عهداً وجب عليه الالتزام به.

كما أخبر الحق ﷻ أن أهل الوفاء الملتزمين بعهودهم ومواثيقهم هم أهل محبته، وهم أهل الصدق والتقوى من خلقه، حيث يقول ﷻ: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٧٦]، ويقول ﷻ: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٧٧]، وبين ﷻ أنهم أصحاب الأجر العظيم، وورثة جنة النعيم، فقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح، الآية ١٠]، ثم بين ﷻ هذا الأجر العظيم في موضع آخر من كتابه، فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُغُوعٌ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۗ وَالَّذِينَ



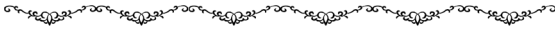
هُم عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أَوْلَيْكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ [سورة  
المعارج، الآيات ٣٢-٣٥].

ولقد أعلى النبي ﷺ من قيمة الوفاء بالعهود،  
وحذر من نقضها، أو عدم الوفاء بها؛ حيث إن في  
خيانتها وعدم الوفاء بها فسادًا للمجتمعات، وفقدًا  
للثقة بين الناس، وتضييعًا للأمانات، فقال ﷺ:  
«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد  
أخلف، وإذا أؤتمن خان» (متفق عليه)، ويقول ﷺ:  
«المُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ» (صحيح البخاري)،  
وحذر النبي ﷺ من عقوبة الغدر، فقال: «إِذَا جَمَعَ  
اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ  
لِوَاءٌ، فَيَقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ» (متفق  
عليه)، قال ابن كثير رحمته الله: والحكمة في هذا أنه لما كان  
الغدر خفيًا، لا يطلع عليه الناس، فإذا كان يوم القيامة  
يصير علمًا منشورًا على صاحبه بما فعل، وهكذا يظهر  
للناس ما كانوا يُسرُّونه من المكر والخيانة، ويخزيهم  
الله ﷻ على رؤوس الخلائق. (تفسير ابن كثير).

وإن من جملة العهود التي أمر الشرع الحنيف  
التزامها، وأكد على الوفاء بها، وعدم نقضها



«عهد الأمان»، وهو بمفهوم العصر الحاضر: ما تمنحه الدولة من تصريح، أو تأشيرة، أو إذن بالدخول إلى أراضيها لأحد رعايا الدول الأخرى، سواء أكان سائحًا، أم زائرًا، أم مقيمًا، بموجب الأعراف، والمواثيق، والاتفاقيات الدولية في التعامل مع الدبلوماسيين، ومن في حكمهم، أو بموجب الاتفاقيات الثنائية بين الدول، بأي طريق من الطرق المعتمدة قانونًا، والمعترف والمعمول بها لدى الدولة المضيفة، وفق قوانينها المنظمة، وبمجرد حصول هذا الشخص على تصريح الإقامة، أو تأشيرة أو إذن الدخول أصبح له حق وحرمة داخل هذه الدولة، وأصبح هذا العهد الذي أعطته الدولة له مُلزمًا لكل مواطنيها، والمقيمين بها، لا يجوز نقضه، أو الالتفاف عليه، أو التحلل منه، لا شرعًا، ولا قانونًا، ومن رأى مخالفة تمس أمن وطنه، أو تخالف النظام العام لدولته، فليس له إلا أن يرفع الأمر لأهل الاختصاص، حتى تتمكن أجهزة الدولة من محاسبته في ضوء ما تقتضيه وتنظمه القوانين؛ إذ

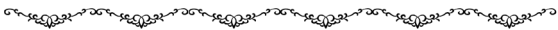




ليس لأحد الناس محاسبته على ما بدر منه، أو التعرض له بسوء، وإلا صارت الأمور إلى الفوضى وعدم الانضباط.

ومما لا شك فيه أن الوفاء بهذا العهد من أوجب الواجبات وألزمها شرعاً، وقانوناً، ووطنيةً، وإنسانيةً، فإذا كان ديننا الحنيف قد أعلى من شأن عهد الأمان، فإن ذمة المسلمين في ذلك واحدة، بمعنى أن العهد الذي يقطعه أحد المسلمين على نفسه، يكون مُلزماً لجميع المسلمين، فما بالنا إذا صار هذا العهد ميثاقاً يضبطه وينظمه الشرع والقانون معاً، متعاضدين، يقوي كل منهما الآخر، ويدعمه، ويستوجهه؟ لا شك أن ذلك يقتضي الوفاء بالذمم والعهود لا نقضها، ولا تضييعها، ولا حتى مجرد المساس بها.

إن الإسلام دين حفظ العهود والعقود، دين لا يعرف الغش، ولا الخداع، ولا الخيانة، فلم يثبت عنه ﷺ - منذ بداية دعوته - ولا عن أحد من أصحابه ﷺ أنهم منعوا أحداً الأمان، أو نقضوا عهد أمان منحوه لأحد، حيث يقول الحق ﷻ



مُخَاطَبًا نَبِيَهُ ﷺ: ﴿وَأِمَّا تَخَافَتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْهُمُ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٥٨]، وكان بين سيدنا معاوية بن أبي سفيان ؓ وبين الروم عهد، فأراد معاوية ؓ أن يخرج على مقربة من حدود الروم، فإذا انتهى الموعد باغتهم، فلحق به رجل من أصحاب النبي ﷺ وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر، فنظروا، فإذا عمرو بن عبسة ؓ، فأرسل إليه معاوية ؓ فسأله، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشدّ عقده، ولا يخلّها حتى ينقضي أمدها، أو ينبذ إليهم على سواء»، فرجع معاوية ؓ. (سنن أبي داود).

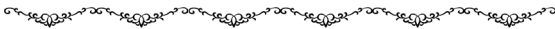
بل تظهر عظمة الإسلام وتتجلى في أعلى صورها في أمر الله ﷻ لنبيه ﷺ أن يجير ويؤمن من استجاره، ولو كان مشركاً، بل ولو كان محارباً، حيث يقول ﷺ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية ٦].

ولقد رسّخ النبي ﷺ لهذه القيم النبيلة التي  
 تحقق الأمن والأمان للإنسانية كلها بقوله وفعله،  
 حيث يقول نبينا ﷺ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ،  
 وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» (مسند أحمد)، ويقول ﷺ:  
 «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا  
 تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» (صحيح البخاري)،  
 ويقول ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ  
 وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ  
 وَأَمْوَالِهِمْ» (سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ)، وها هو النبي ﷺ  
 يجسد لنا عملياً أروع الأمثلة في الوفاء بالعهد  
 حتى مع أعدائه؛ فعن يوم بدر يقول حُذَيْفَةُ بْنُ  
 الْيَمَانَ رضي الله عنه: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ  
 أَنَا وَأَبِي، فَأَخَذْنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنكُمْ تُرِيدُونَ  
 مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا  
 مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصُرَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نَقَاتِلُ  
 مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ رضي الله عنه:  
 «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ».  
 (صحيح مسلم).



وعليه، فإننا نؤكد أن من واجبنا جميعًا الحفاظ على العهود والمواثيق التي تلتزم بها الدولة تجاه كل إنسان يدخل إلى بلادنا، وأن نكون متعاونين ومتضامنين على حفظ دمه، وعرضه، وماله، وخصوصيته، كما أن من واجبنا حسن استقباله، وإكرامه؛ ليرى منا ما نحب أن يتصوره عن عظمة ديننا، وعمق حضارتنا، وورقي إنسانيتنا؛ بما يسهم في تكوين الصورة الذهنية التي نريدها لديننا، ووطننا، ومجتمعنا، وهذا هو حال الأمم والشعوب الراقية المتحضرة.

إن الإسلام دين العدل والتسامح والتعايش السلمي، والمسلم دائمًا آمنٌ وأمانٌ، سلمٌ سلامٌ في كل مكان يحل فيه، في بلاده، وفي غيرها؛ فإذا انتقل المسلم لبلد آخر، سواء أكان من بلاد المسلمين، أم من غيرها، فإن التأشيرة التي تمنحها هذه الدولة له - كعهد أمان، يأمن به على نفسه - هي في المقابل عهد أمان منه لأهل هذا البلد؛ يأمنون به على أنفسهم وأموالهم، ويلزمه ذلك أن يخضع لقوانين هذا البلد، ويلتزم بها، ويؤدي ما عليه بأمانة وصدق، فيحرم عليه أخذ شيء من أموالهم بغير





حق، أو الاعتداء على أعراضهم، أو الغدر بهم بأية صورة من الصور؛ حتى يكون خير سفير لدينه، ووطنه، وحضارته، فبمجرد دخوله تلك البلاد قد التزم وعاهد الله ﷻ على الوفاء، حتى لا يقع تحت طائلة قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٧].

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: إذا دخل الرجل دار غير المسلمين بأمان منهم، فلا يحل له أن يأخذ شيئاً من أموالهم - قل أو كثر - حتى ولو كانوا في حالة حرب مع المسلمين؛ لأنه إذا كان منهم في أمان، فهم منه في أمان مثله؛ ولأنه لا يحل له في أمانهم إلا ما يحل له من أموال المسلمين. والله دَرُّ القائل:

وَفَاءُ الْعَهْدِ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ      وَنَقْضُ الْعَهْدِ مِنْ شِيمِ اللَّئَامِ  
وَعَنْدِي لَا يُعَدُّ مِنَ السَّجَايَا      سِوَى حِفْظِ الْمَوَدَّةِ وَالذَّمَامِ

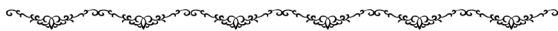




## فروض الكفايات ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي

إن المتأمل في أحكام الشريعة الإسلامية يجد أنها جاءت لتحقيق مصالح العباد، والسُّمُوِّ بالنفس البشرية إلى أعلى درجات الرقي والتحضر وحسن التعامل مع الآخرين، عن طريق الالتزام بمنهج الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ومن ثم يتمكن الإنسان من القيام بالمهمة التي خلقه الله ﷻ من أجلها، ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وعمارة الأرض، قال ﷺ: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود، الآية ٦١]، والتزكية بالأخلاق الحسنة.

ومن جملة الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام لتحقيق الخير للإنسان ما يعرف بفرض العين، وفرض الكفاية، أما فرض العين فهو ما يجب وجوباً عينياً لازماً على شخص معين بذاته بحسب قدرته واستطاعته لا يقوم غيره فيه مقامه، ويمثل له





علماء الشريعة بالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، فلا يجزئ صيام الأمة كلها عن إفطار من أفطر، ولا يغني عنه صيامها من الله شيئاً، وكذلك الصلاة والزكاة، ففرض العين إذا أقامه المسلم نال ثوابه وحده، وإذا تكاسل عنه تحمل إثمه وحده.

وأما فرض الكفاية فهو لا يتعلق بشخص بعينه، بل يتعلق بجميع أفراد المجتمع؛ لكن إذا قام به بعض الناس سقط الإثم عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثموا جميعاً، ومن ثم فرض الكفاية هو ما يجب على المجتمع أن يقوم به من إنفاق المال، أو بذل الجهد لدفع الضرر عن الفقراء والمساكين وغير القادرين، يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٠٤].

فالكل في سفينة واحدة، ولكي تصل إلى بر الأمان لابد من تكاتف الجميع وإلا هلكوا جميعاً، يقول نبينا ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ

أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا  
اسْتَوَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ  
أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ  
يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى  
أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا» (صحيح البخاري).

وإذا كان بعض الفقهاء القدامى قد مثلوا  
لفروض الكفاية ببعض الأمور، كردّ السلام،  
وتشميت العاطس، واتباع الجنائز، وتغسيل الميت،  
وتجهيزه، وتكفينه والصلاة عليه، ونحو ذلك، فإنما  
ذكروا ذلك كله على سبيل المثال لا الحصر، حيث  
إن مفهوم فروض الكفاية يتسع لكل ما فيه صلاح  
البلاد والعباد، فهي لا تتوقف عند مجرد الشعائر  
فحسب، بل تتناول كل ما تقوم به حياة الفرد  
والمجتمع، أو ما يهدف إلى المصلحة العامة، انطلاقاً  
من قوله ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل  
عمران، الآية ١١٠]، وقول نبينا ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ  
حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (متفق عليه).

على أن كثيراً من الناس يعتقدون أنهم أدوا ما عليهم بدفع زكاة أموالهم، وغاب عنهم ما في المجتمع من أيتام وأرامل، وفقراء ومساكين، ومرضى ومنكوبين، فليعلم الجميع أنه إذا أصيب أحد بكرب، أو احتاج شيئاً وجب عليهم أن يدفعوا عنه ذلك الكرب، أو يقضوا له تلك الحاجة متضامنين، فإذا قام به واحد منهم سقط الحرج عن الباقي، وإذا تخلف الجميع أثموا جميعاً.

ومن أمثلة فروض الكفاية التي تحقق التوازن المجتمعي: التكافل الاجتماعي: فالإسلام لا يعرف الفردية أو الأنانية أو السلبية، وإنما يعرف الإخاء الصادق، والعطاء الكريم، والتعاون على البرِّ والتقوى، وهذا ما دعا إليه نبينا ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ

لَا زَادَ لَهُ، قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ» (صحيح مسلم).

ولقد ضرب الأشعريون أروع الأمثلة في التكافل المجتمعي فاستحقوا ثناء رسول الله ﷺ، فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أُرْمِلُوا - نَفَدَ زَادَهُمْ - فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ» (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، فهذا مثال عملي واقعي، تتنفي فيه كل مظاهر الفردية والأنانية، ويستحضر الجميع روح الجماعة والأخوة الممزوجة بفضيلة المحبة والإيثار إحساسًا بكونهم جسدًا واحدًا يقوى بالتعاطف والتراحم والتكافل والتعاون «ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ» فكان التعقيب المحمدي على هذا الفعل الجميل بقوله ﷺ: «فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ».

ومن فروع الكفاية: قضاء حوائج الناس، فقضاء حوائجهم والقيام بمتطلبات حياتهم من

الواجبات الشرعية والوطنية، يقول ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ وَجَارَهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ» (مسند أحمد)، وفي حديث آخر نرى النبي ﷺ يقدم قضاء حوائج الناس على الاعتكاف في مسجده، حيث يقول: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُورُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أَمْسِيَّ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا... وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ». (المعجم الكبير للطبراني).

والتأمل في واقع الناس اليوم يجد منهم الفقير الذي لا يجد ما يسد جوعه، والمريض الذي لا يجد دواءه، والأرامل، واليتامى والضعفاء، ومن لا عائل لهم، هؤلاء وغيرهم أحق بقضاء مصالحهم وحوائجهم، وكان ﷺ يحرص على متابعة أصحابه في قضاء حوائج الناس والسعي في مصالحهم،



فيسأل عمن فعل واستجاب وعمن حرص واقتدى،  
 فقال ﷺ ذات يوم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟»  
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ  
 جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ  
 الْيَوْمَ مَسْكِينًا؟»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ  
 مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ ﷺ: «مَا  
 اجْتَمَعَنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». (صحيح مسلم).

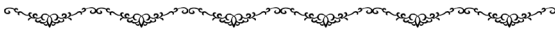
كذلك من فروض الكفاية التي تسهم في سد  
 حاجات المجتمع: العمل على تخريج المتميزين من  
 الأطباء والمهندسين والعلماء المتخصصين بما يحقق  
 كفايته في شتى المجالات العلمية والإنتاجية.

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: «أما فرض  
 الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور  
 الدنيا، كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان،  
 والحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة  
 الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هي العلوم التي  
 لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا  
 قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين،



...وكذلك فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات».

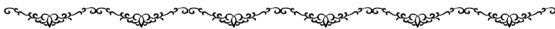
فلو خلا بلد من هذه العلوم والصناعات تعرض أهل هذا البلد للهلاك، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، ومن لا يملك قوته وسلاحه وعتاده ودواءه لا يملك إرادته، ومن ثمَّ وجب علينا جميعًا وجوبًا دينيًا ووطنياً أن نعمل وبمتهى المهمة والجد على تحقيق الكفاية لوطننا في جميع المجالات حتى نصبح أمة منتجة، أمة مُصَدَّرَة، أمة نافعة لنفسها وللإنسانية، وليست عالة على غيرها، لا في طعامها، ولا في شرايها، ولا في كسائها، ولا في علاجها، فعلاج مرضى المجتمع أمانة في أعناق أطبائه، ومحو أمية المجتمع أمانة في أعناق مُعَلِّميه، وحفظ أمنه أمانة في أعناق جيشه وشرطته، وعدل المجتمع أمانة في أعناق قضاته، وفروض الكفايات تقوم على المسؤولية التضامنية لأفراد المجتمع، كل في مجاله وميدانه، يقول ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة، الآية ٢].





إن القيام بفروض الكفاية خير وسيلة للقضاء على الفقر، والجهل، والمرض، حتى لا يجوع فقير، ولا يضيع يتيم، ولا يحتاج مسكين، ومن ثم يتحقق التوازن المجتمعي، والعدل بين الناس، وضمان الأمن، والأمان، من خلال إنفاق المال لإطعام الجائعين، ورعاية اليتامى والمساكين، وعلاج المرضى والمعاقين، وبذل الجهد لإغاثة الملهوفين والمنكوبين، وإزالة الكرب عن المكروبين، وتقديم يد العون للفقراء والمحتاجين، وبذلك يتحقق التوازن المجتمعي.

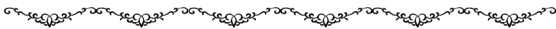
ومن أمثلة فروض الكفايات التي تسهم في سد حاجات المجتمع: السعي إلى تحقيق القوة في جميع جوانب حياتنا الإيمانية، والعلمية، والفكرية، والاقتصادية، والإنتاجية، يقول ﷺ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية 60]، ولم يحدد الله ﷻ نوع هذه القوة، فهي شاملة لكل قوة تُصلح





الأمة، سواء أكانت قوة روحية أم علمية أم جسدية،  
أم غير ذلك.

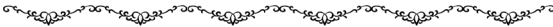
ومن أمثلة فروض الكفايات: تلبية حاجات  
المجتمع الضرورية بمراعاة فقه الواقع وتقديم  
فقه الأولويات، فإن كانت حاجة المجتمع إلى بناء  
المستشفيات وتجهيزها لعلاج الفقراء ورعايتهم فلا  
بد من القيام بذلك، وإن كانت حاجة المجتمع  
لبناء المدارس والمعاهد وصيانتها وتجهيزها والإنفاق  
على طلاب العلم ورعايتهم فلا بد من القيام بها،  
وإن كانت الحاجة ماسة لتيسير زواج المعسرین  
وسدّ الدّین عن المدینین، وتفريج كرب الغارمین  
والغارمات فلا بد من القيام بذلك، وإن كانت  
الحاجة في توفير المياه النقية الصالحة لكل أفراد  
الأمة، فلا بد من القيام بهذا الواجب سدّاً للحاجات  
الضرورية للمجتمع، وهذا ما فعله سيدنا عثمان  
بن عفان رضي الله عنه عندما اشترى بئر رومة استجابة  
لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ  
رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدْلَاءَ الْمُسْلِمِينَ» (صحيح





البخاري)، قال سيدنا عثمان: فَأَبْتَعْتُهَا بِكَدَا وَكَدَا،  
فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: قَدِ ابْتَعْتُ بِنْرَ رُومَةَ،  
قَالَ: «اجْعَلْهَا سِقَايَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَأَجْرِهَا لَكَ» (سُنن  
النسائي)، فقد كانت حاجة المجتمع ماسة لشراء  
المياه، وكلما كانت الحاجة أشد كان الثواب أعظم.  
ومن ثمَّ فإن فروض الكفايات تتعلق بكل  
حاجات المجتمع، وتغطي كل مجالات الحياة،  
ولنعلم أن إحياء الواجب الكفائي يسهم في تحقيق  
التكافل والتوازن المجتمعي من جهة، وسد حاجات  
الوطن الأساسية والضرورية من جهة أخرى، فما  
أعظم ديننا لو فهمناه فهمًا صحيحًا وطبقناه تطبيقًا  
واعيًا؛ لأنه يحرص أشد الحرص على ما فيه صالح  
البلاد والعباد والإنسانية.

\*\*\*





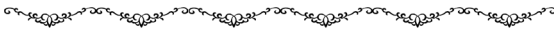


## ترتيب الأولويات

### وأثره في حياة الفرد والمجتمع

من الواجبات الشرعية لكل مسلم أن ينضبط لديه ميزان الدين الصحيح، فيرتب الأوامر الشرعية والتعاليم الإسلامية حسب وضعها في دين الله ﷻ، حتى لا يؤخر ما قدمه الدين أو يقدم ما أخره، أو يُضَيِّع الفاضل بانشغاله بالمفضول، فيظن المرء أنه محسنٌ والحال أنه مخدوع، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿[سورة الكهف، الآيات ١٠٣، ١٠٤].

والقرآن الكريم حافل بكثير من الآيات التي ترغب المسلم في السعي نحو الأفضل والأكمل في كل شيء، وتطالبه بأن يستفرغ جهده لتحقيق الأولى في عمله الديني والدنيوي معًا، من هذه الآيات قوله ﷻ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ بِالْأخذِ أَوْ



بِأَحْسَنِهَا ﴿[سورة الأعراف، الآية ١٤٥]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [سورة النساء، الآية ٨٦]، وقوله ﷺ: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل، الآية ١٢٥]، وقوله ﷺ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء، الآية ٥٣]، إلى غير ذلك من الآيات التي يشتمل عليها القرآن الكريم وكلها تدعو المسلم إلى السعي الدؤوب نحو الأفضل والأكمل في كل شيء.

وفي السنة النبوية إشارات إلى وضع كل شيء في مكانه الجدير به، وعدم الانشغال بالنوافل عن الحقوق والواجبات، فهذا سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، فزار سلمانُ أبا الدرداء فرأى أمَّ الدرداء مبتذلة، فقال لها: مَا شَأْنُكِ؟ قالت: أَخْوَكُ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ



يَقُومُ قَالَ: نَمْ، فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ فَصَلِّ يَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلَا أَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ». (صحيح البخاري).

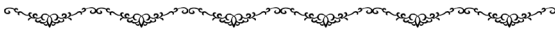
ويتضح من توجيهات النبي ﷺ لأصحابه في مواضع عديدة أن تقديم الأولويات من أوجب الواجبات؛ لأنها تحدث توازنًا في حياة الإنسان ومعايشه.

ومراعاة الأولويات في حياتنا تستلزم العلم بالواقع والفقهاء بالواجبات الشرعية معًا؛ ولهذا فقد قَدَّمَ الإسلام العلم على العمل، ورفع شأن العلماء العاملين على العابدين بغير علم، فعن أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ» (سنن أبي داود)، فالعلم شجرة والعمل ثمرة، العلم والد والعمل مولود، والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية.



وإننا إذ نتكلم عن ترتيب الأولويات فهناك مشكلات تتقلب فيها الأمة، علينا أن نرتبها ونبحث لها عن حلول، فهذا أولى من أن نهتم بأمور هي من نوافل العبادات، كمن يهتم بصيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، وهو للواجبات مُضَيِّع، ولحقوق العباد أكل، أو كمن يحرص على حج النافلة وهو لمصالح العباد مُعَطِّل، فالذين يحجون ويعتَمرون مرات ومرات تطوعاً وتنفلأً مع احتياج بعض أهليهم وجيرانهم وبنبي وطنهم إلى الطعام والكساء والدواء واحتياج أوطانهم إلى مقومات أساسية لا تستقيم حياة أبنائه إلا بها، وبخاصة في مجالات الصحة والتعليم، فهؤلاء نذكرهم بأمرين:

أولهما: أن قضاء حوائج الناس والقيام بمتطلبات حياتهم ليس مجرد نافلة، إنما هو واجب شرعي ووطني، يقول نبينا ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ» (المعجم الكبير للطبراني)، ويقول الحق ﷻ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّبْرِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [سورة الماعون، الآيات ١ - ٣].



فإذا كان هذا جزء من لا يحض غيره وهو لا يملك فما بالناس من لا يؤدي حق الله ﷻ؟! يقول الحق ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة، الآية ٣٤]، ويقول ﷻ مخاطباً أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ [المثدر، الآيات ٤٢ - ٤٤]، ويقول ﷻ: ﴿هَآأَنَتُمْ هَآؤَآءَ تَدْعُونَ لِئَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُمْ مَّن يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [سورة محمد، الآية ٣٨].

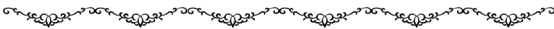
وعلى العكس من ذلك فإن جزاء المحسنين والمنفقين جد عظيم عند الله ﷻ وعند الناس، يقول الحق ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٦١]، ويقول نبينا ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِلَّهِمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا



خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخِرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمَسِّكًا تَلْفًا». (متفق عليه).

الثاني: أن قضاء حوائج الناس مقدم على ألف حجة وحجة بعد حجة الإسلام التي هي حجة الفريضة، ومن ألف عمرة نافلة، فالأول الذي هو قضاء حوائج الناس لإصلاح للفرد والمجتمع، والآخر الذي هو حج النافلة وتكرار العمرة لا يخرج عن دائرة صلاح النفس، والإصلاح مقدم على الصلاح، وقد يصير ذلك ضروريًا ومُحْتَمًّا في مثل الظروف الاقتصادية التي نمر بها.

كما أن الأول مصلحة عامة، والثاني يدخل في دائرة المصالح الخاصة، والعام مقدم على الخاص، والأعم نفعًا مقدم على محدود النفع أو قاصر النفع. والأول - الذي هو قضاء حوائج الناس - لا يخرج عن كونه فرض عين أو فرض كفاية، ولا شك أن الفرض والواجب عينًا كان أم كفايةً مقدم على سائر النوافل لا على حج النافلة وتكرار العمرة فحسب، ولهذا فإننا نرى النبي ﷺ يقدم قضاء



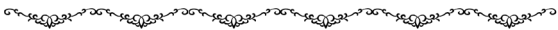
حوائج الناس على الاعتكاف في مسجده هو ﷺ  
 فقد قال: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ،  
 وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى  
 مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ  
 تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَآنَ أَمَشِي مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ  
 إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ  
 الْمَدِينَةِ - شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ،  
 وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ  
 اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ  
 فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أُثْبِتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ  
 الْأَقْدَامُ». (المعجم الكبير للطبراني).

وقد نقل حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في  
 إحيائه عن أبي نصر التمار أن رجلاً جاء يودع بشر  
 بن الحارث وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني  
 بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي  
 درهم، قال بشر: فأى شيء تتبغي بحجك؟ تزهداً  
 أو اشتياًقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء  
 مرضاة الله، قال: فإن أصبت مرضاة الله ﷻ وأنت



في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله ﷻ؟ قال: نعم، قال: اذهب فأعطها عشرة أنفس، مدين يقضي دينه، وفقير يرم شعته، ومعيّل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبك تعطيها واحداً فافعل، فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللفهان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام، قم فأخرجها كما أمرناك، وإلا فقل لنا ما في قلبك؟ فقال: يا أبا نصر، سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر ﷺ وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطراً فأظهرت الأعمال الصالحات، وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين.

ومن نماذج الأولويات التي ينبغي أن يلتفت إليها المؤمن: أن العفو والصفح أولى من الانتصار، قال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشورى، الآيتان ٣٩-٤٠]، فإذا كان الانتصار وردُّ

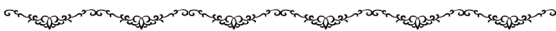




العدوان لا لوم فيه ولا عدوان ولا مؤاخذة، فإن  
المغفرة أفضل وأليق بالمؤمن.

ومن هذه النماذج أيضاً أن الصدقة حال الصحة  
أولى من الوصية: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل  
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الصدقة  
أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح  
شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى  
إذا بلغت الحلقوم» قلت: لفلان كذا، ولفلان  
كذا، وقد كان لفلان (متفق عليه)، ومن ثم فإن  
الإحسان في وقت الصحة والعافية، أفضل وأكثر  
أجرًا من بذل المال حال المرض واقتراب الأجل.

ومن ذلك: ضرورة الوعي بترتيب الأولويات في  
باب الصدقة الجارية مثلاً في هذا الزمان أن يوجه  
كثير من الناس أموالهم في باب واحد من أبواب  
الصدقات كمن يبني مسجداً في قرية يوجد بها  
مساجد أكثر من حاجة المصلين، في الوقت الذي  
هي في أمس الحاجة إلى مستشفى أو مدرسة أو غير  
ذلك من مصالح الناس ومرافقهم الضرورية، أو



ما تقتضيه مصلحة الدين والبلاد والعباد، فإن كان بينه لنفسه ليفعل ما يشاء، وإن كان بينه لله فمصالح العباد واحتياجاتهم مما يحبه الله ويرغب فيه؛ لأن ذلك دليل على الإخلاص وعلى ابتغاء ما عند الله ﷻ.

ومن الأولويات التي يقررها الإسلام: أن إبراء المعسر وإعفاءه أولى من إنظاره، يقول الحق ﷻ: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٨٠]، ويقول النبي ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ



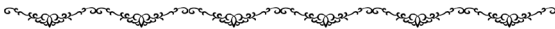



الملائكةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ  
لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». (صحيح مسلم).

ولعل من أشد الأزمات التي نتعرض لها اليوم، بل هي أساس أزمات كثيرة: أزمة عدم الوعي بالقضايا الجوهرية والمصيرية، والاهتمام بقضايا بعيدة عن الواقع، ومن ذلك ضرورة الوعي بترتيب الأولويات، ومن هنا رأينا من يحرص على المفضول ويترك الأفضل، ومن يحرص على بعض المستحبات ويُفِرِّط في الفرائض والواجبات أو يتساهل في المحرمات، الأمر الذي يستلزم المعرفة بفقهِ الأولويات وكيفية الموازنة بين المصالح والمفاسد والترجيح بينها إذا تعارضت.

وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول لأهل العراق: ما أسألكم عن الصغيرة وأجرأكم على الكبيرة (صحيح مسلم)، يعني ما أكثر سؤالكم عن الصغيرة مع جرأتكم على الكبائر.

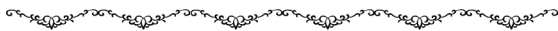
وحتى نكون واعين بمشكلاتنا قادرين على حلها لا بُدَّ أولاً من إصلاح الأسرة التي هي نواة





المجتمع، فنرتب أولويات الحياة الأسرية والتي  
من أهمها: البر والصلة بين أفراد الأسرة، فلدينا  
مشكلة العقوق بين الأبناء والآباء والتي اهتم بها  
القرآن الكريم وكثيراً ما تحدّث عنها وأمر ببر  
الوالدين، وبخاصة الأم، فقال الحق ﷺ: ﴿وَوَصَّيْنَا  
الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ  
وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ  
رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ  
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي  
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا  
يُوعَدُونَ﴾ [سورة الأحقاف، الآياتان ١٥-١٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول  
الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن  
صحَابتي؟ قال: «أمُّك» قال: ثم من؟ قال: «ثم  
أمُّك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمُّك» قال: ثم  
من؟ قال: «ثم أبوك». (متفق عليه). وتقديم الأم  
هنا؛ لضعفها وحاجتها إلى مزيد رعاية وعناية  
ولأولويتها بالاهتمام.

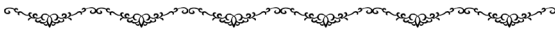




كما أنّ من الأولويات: الاهتمام برعاية الأبناء وتربيتهم تربية تتفق مع مبادئ الإسلام: تقدم أولويات التربية من حيث الأخلاق، والحفاظ على العبادة، وتقديم القدوة الصالحة التي تتمثل في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، مع مراعاة عدم الإمعان في الرفاهية لدرجة خرق المروءة، أو القسوة والشدة لدرجة انعدام الرحمة، فعن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس رضي الله عنه أبصر النبي ﷺ يُقبلُ الحسنَ فقال: إن لي عشرةً من الولد ما قبلتُ واحداً منهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّهُ مَنْ لَا يُرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». (متفق عليه).

فإذا أحسننا ترتيب أولوياتنا وأحسننا توظيف طاقاتنا وجميع إمكاناتنا العلمية والثقافية والمادية وفق هذه الأولوية فإن ذلك بلا شك يسهم في نهضتنا ورقينا وتقدمنا بإذن الله ﷻ.

\*\*\*





## رعاية المسنين وحماية حقوقهم

لقد خلق الله ﷻ الإنسان في أحسن تقويم، وكرّمه وفضله على سائر مخلوقاته، قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

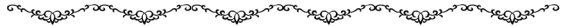
ولما كان الإسلام دين الإنسانية والرحمة بأرقى معانيها، جاء ليُعلي قيمة الإنسان ويحفظ كرامته، ويرتقي به جسداً وروحاً، ويلبّي كل متطلباته وفق منهج ونظام محكم دقيق، يحث على البر، وينهى عن الإثم، ويأمر بالرحمة، ويعلي من قدر الإنسانية، فالإنسانية ليست مجرد كلمة أو شعار بقدر ما هي مسئولية وواجب يرفع حقّ الضعيف قبل القوي، والصغير قبل الكبير، والمريض قبل الصحيح، وتتجلى مظاهر هذه الإنسانية في رعاية المسنين،



وكفالة حقوقهم، وقضاء حوائجهم، والسعي على مصالحهم؛ وذلك حرصاً على استقرار حياتهم وإدخال السرور عليهم، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتقوية لأواصر الوُدِّ والمحبة والترابط بين الناس جميعاً. فإنَّ إكرام الكبير، ورعاية المسنين وحماية حقوقهم جزء لا يتجزأ من حضارتنا الإنسانية، فالمجتمع الذي لا يوقر الكبير، ولا يرحم المسنين مجتمع لا خير فيه ولا حضارة له.

ولم لا؟ وهم جزء أصيل من نسيج المجتمع، أدوا ما عليهم فترة شبابهم، فهم الأكثر حكمة وخبرة في الحياة، وهم الأمان لغيرهم، وبهم يتحقق نصر الله ﷻ، ويزداد الرزق، حيث قال ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ». (صحيح البخاري) أي: ببركتهم، وبدعائهم، وصدق نياتهم.

ولقد حثَّ النبي الكريم ﷺ على احترام المسنين وإكرامهم، ومعرفة قدرهم ومكانتهم، وربط بين ذلك وبين إجلال الله ﷻ، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ



غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ» (سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ)، فَقَدَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ ذِي الشَّيْبَةَ عَلَى حَامِلِ الْقُرْآنِ وَالْحَاكِمِ الْعَادِلِ مَعَ عُلُوِّ مَنَزَلَتَهُمَا؛ إِكْرَامًا لِذِي الشَّيْبَةِ، وَتَقْدِيرًا لَهُ، حَتَّى إِنْ النَّبِيَّ ﷺ نَفَى كِمَالِ الْإِيمَانِ عَمَنْ أَنْكَرَ حَقَّ ذِي الشَّيْبَةِ وَاسْتَخَفَّ بِهِ، يَقُولُ نَبِينَا ﷺ: «لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ» (مُسْنَدُ الشَّامِيِّ)، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَيْضًا: أَنْ شَيْخًا كَبِيرًا أَرَادَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ الْجَالِسُونَ فِي أَنْ يَوْسَعُوا لَهُ، فَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا». (سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ)، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَيَعْرِفُ حَقَّ كَبِيرَنَا». (مُسْنَدُ أَحْمَدَ)، وَفِي رِوَايَةٍ ثَالِثَةٍ: «وَيَعْرِفُ شَرَفَ كَبِيرَنَا». (سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ).

وَلَقَدْ رَاعَى الشَّرْعَ الْحَنِيفَ التَّخْفِيفَ وَالتَّيْسِيرَ عَلَيْهِمْ فِي آدَاءِ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ رَأْفَةً بِهِمْ، فَقَدْ أَمَرَ الْإِسْلَامُ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ مِنْ أَجْلِ أَصْحَابِ الْأَعْذَارِ وَكِبَارِ السَّنَنِ، فَقَالَ ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ

وَالكَبِيرَ». (متفق عليه)، وفي رواية: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَالشَّيْخَ الكَبِيرَ، وَذَا الحَاجَةِ». (مسند أحمد).

وكذلك رخص الإسلام لغير القادر منهم في الإفطار مع الفدية في رمضان، قال ﷺ: ﴿الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٨٤].

والمقصود بالذين يطيقونه: من يتحملون الصوم بمشقة شديدة بالغة ككبار السن، وأصحاب الأعذار، وفي الحج رخص لهم كذلك في كثير من الأحكام؛ رفعا للحرص عنهم، ودفعا للمشقة، فهم أكثر فئات المجتمع احتياجا إلى الاهتمام والرعاية بعد أن أفنوا حياتهم في طاعة الله ﷻ، وتربية أبنائهم، وفي خدمة أوطانهم ومجتمعاتهم.

ومن حقوقهم أيضا: حسن معاملتهم، ورعايتهم، جسديا، ونفسيا، وروحيا، بغض النظر عن دينهم، فهذا رسول الله ﷺ يوم فتح مكة أتاه أبو بكر ﷺ بأبيه (أبي قحافة)، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هَلَا تَرَكَتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا آتِيهِ فِيهِ، قَالَ



أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ  
مِنْ أَنْ تَمْشِيَ أَنْتَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ  
مَسَحَ صَدْرَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَسْلِمَ، فَأَسْلِمَ». (مسند  
أحمد).

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في حسن  
معاملة المسنين ورعايتهم، اقتداءً بنبيهم صلى الله عليه وسلم.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى رجلاً مسناً من  
أهل الكتاب يتكفف الناس، فأخذ بيده وذهب  
به إلى منزله، فأحسن إليه وأعطاه ما يسدُّ حاجته،  
ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: (انظر هذا  
وَضُرْبَاءَهُ - أي وأمثاله - فوالله ما أنصفناه إذ أكلنا  
شبيبته ثم نخذله عند الهرم)، وتلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا  
الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [سورة التوبة، الآية ٦٠]  
(الخروج لأبي يوسف).

إن احترام الكبير وحسن معاملته يبرز حسن  
وجمال الإسلام وسماحته في معاملة الضعفاء  
وأصحاب الحاجات، فالإسلام يدعو إلى التكافل  
والتراحم، ويهتم بالفئات الضعيفة التي لا تقوى

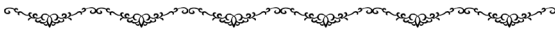


على مطالب الحياة، ولقد ربَّى النبي ﷺ المجتمع المسلم على حب الخير للغير، وتقديم يد العون ومساعدة المحتاجين، وأمر به، وكان عمر ﷺ - وهو أمير المؤمنين - يخرج في سواد الليل فرآه طلحة ﷺ، فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فسألها: مَا بَأَلْ هَذَا الرَّجُلِ يَا تَيْكِ؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى». (حلية الأولياء لأبي نعيم).

فالإسلام يدعو إلى التكافل والتكامل بين أفراد المجتمع حتى تسوده روح الوئام والسلام، وتتحقق الألفة والمودة والترابط بين جميع أبنائه.

فما أحوجنا إلى عودة حقيقية وجادة إلى قيمنا الدينية والاجتماعية والإنسانية، من إكرام الكبير، وذو الشبية، وذوي الهمم والقدرات الخاصة.

على أن رعاية المسنين وحماية حقوقهم، تزداد أهمية ومسئولية إذا كان المسن ذا رحم وصلة،



فيكون أولى بالعناية والرعاية، بل إنه يصل إلى حد المسؤولية التي يَأْتَم من يَقْصُر في الوفاء بحقها إذا كان المسن أباً أو أمّاً، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٢٣].

ويقول ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ (١٤) وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة لقمان، الآيتان ١٤، ١٥].

ولما جاء أحد الناس يستأذن النبي ﷺ في الجهاد، فقال: «يا رسول الله: إني جئت أريد الجهاد معك، ولقد أتيت وإنَّ والديَّ بيكيان، قال له ﷺ: «فَارْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكُهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا» (سُنَن ابْنِ مَاجَه).

وأقبل رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَبَايِعُكَ عَلَىٰ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ:

فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَلْ  
كِلَاهُمَا، قَالَ: فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ:  
نَعَمْ. قَالَ: فَارْجِعِي إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنِي صُحْبَتَهُمَا»  
(صحيح مسلم)، وفي رواية: «جَاءَ رَجُلٌ فَأَسْتَأْذَنَهُ فِي  
الْجِهَادِ، فَقَالَ: أَحْيَى وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا  
فَجَاهِدْ». (متفق عليه).

ومن ثم فعلينا أن نمثل منهج القرآن الكريم،  
وتوجيهات النبي العظيم ﷺ في رعاية المسنين  
والضعفاء، والرحمة بهم، والعمل على حماية  
حقوقهم.

وإذا كان الإسلام قد حثَّ على رعاية المسنين  
عامَّةً وحماية حقوقهم، فإنه أكدَّ على هذه الرعاية  
للوالدين وخاصة في سن الشيخوخة، وجعل ذلك  
ضرباً من الجهاد في سبيل الله ﷻ.

فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه: «أن رجلاً مرَّ على  
النبي ﷺ فرأى الصحابة رضي الله عنهم من جلدِهِ ونشاطِهِ  
مَا أَعْجَبَهُمْ، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في  
سبيل الله؟! فقال رسول الله ﷺ: إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى

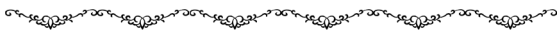
عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى  
عَلَى أَبُوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ  
كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْفُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ  
كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ». (المعجم الكبير للطبراني).

ولا شك أن رعاية الأبوين في الشيخوخة والكبر  
والقيام على أمرهما يُنجي من الأزمات، ويُفرج  
الكربات، ويُقيل العثرات في الدنيا والآخرة، ففي  
حديث الثلاثة الذين انحدرت عليهم الصخرة من  
أعلى الجبل فسدت عليهم باب الغار؛ توسل كل  
واحد منهم بعمل أخلص فيه لله ﷻ؛ لعله يرفع  
عنهم ما هم فيه، فكان من توسل الأول ودعائه:  
«اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَأَمْرَانِي،  
وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ  
حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ  
نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمِ الشَّجَرِ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ،  
فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ  
بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا

مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أُسْقِيَ الصَّبِيَةَ قِبَالَهُمَا، وَالصَّبِيَّةُ  
يَتَضَاعُونَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِي وَدَأْبَهُمْ  
حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ  
ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا  
السَّمَاءَ، فَفَرَّجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ...».  
(متفق عليه).

وإن من سنة الله ﷻ في خلقه أن من برَّ والديه  
برَّهُ أبناؤه، ومن عتق والديه عتقه أبناؤه، فالجزء من  
جنس العمل، فقد روي أن رجلاً ضاق بوالده المسن  
فصنع له وعاءً خشبياً حتى لا تنكسر منه الأطباق  
لرعدة أصابته في يده، فسأله أصغر أبنائه لم صنعت  
هذا الإناء يا والدي؟ قال: لنضع فيه الطعام لجدك  
حتى لا ينكسر، فقال الولد: نعم، حتى نضع لك  
فيه الطعام عندما تكون مثل جدي.

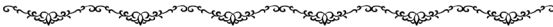
إن الاهتمام بالوالدين عند الكبر والعناية بهما  
هو أقصر الطرق إلى الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن  
رسول الله ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفٌ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ،  
ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ»، قيل: من؟ يا رسول الله قال:





«مَنْ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا، أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ  
يَدْخُلِ الْجَنَّةَ» (صحيح مسلم)، وعن طَيْسَلَةَ بْنِ  
مَيَّاسٍ، قَالَ لِي ابْنُ عَمْرِو رضي الله عنه: «اتَّفَرَّقُ النَّارَ، وَتُحِبُّ  
أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟»، قُلْتُ: إِي وَاللَّهِ! قَالَ: «أَحْيَى  
وَالدَّاك؟»، قُلْتُ: عِنْدِي أُمِّي، قَالَ: «فَوَاللَّهِ! لَوْ  
أَلْنَتَ لَهَا الْكَلَامَ، وَأَطْعَمْتَهَا الطَّعَامَ، لَتَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ  
مَا اجْتَنَّبَتِ الْكِبَائِرَ». (الأدب المفرد للبخاري).

\*\*\*







## حق الطفل في الرعاية والنشأة الكريمة

قد اهتم الإسلام ببناء الأسرة اهتماماً كبيراً، واعتنى بها عنايةً فائقةً تليق بدورها في إعمار الأرض، وبناء المجتمع، واستقرار الأوطان وتنميتها، وإن من مظاهر هذا الاهتمام، ودلائل تلك العناية أن شرع الله ﷻ الزواج، وجعله آية من آياته؛ ليكون طريقاً شرعياً لبناء الأسرة في صورة تليق بكرامة الإنسان، وتتوافق مع فطرته السليمة، قال ﷺ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم، الآية ٢١].

وإن من مقاصد الزواج وأهدافه - بعد شكر نعمة الله ﷻ - بقاء الجنس البشري بالإنجاب والتناسل، قال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ

الَّذِي سَأَلُونَهُ بِهٖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [سورة النساء، الآية ١]، ويقول ﷺ مخاطباً نبيه ﷺ، ومبيناً أن الزواج وطلب الذرية سنة الأنبياء ﷺ من قبله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد، الآية ٣٨].

ولا شك أن الأبناء نعمة من أجل نعم الله ﷻ على الإنسان، فهم هبة الله وعطيته، يقول ﷺ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [سورة الشورى، الآيات ٤٩، ٥٠]، ويقول ﷺ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [سورة الكهف، الآية ٤٦]، ولقد ذكر لنا القرآن الكريم في غير موضع طلب الأنبياء والصالحين للذرية ورغبتهم فيها، فهذا خليل الرحمن إبراهيم ﷺ يدعو ربه قائلاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات، الآية ١٠٠]، وهذا زكريا ﷺ يدعو ربه راجياً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [سورة آل عمران،

الآية ٣٨]، وإن من صفات عباد الرحمن أن يتضرعوا في دعائهم قائلين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان، الآية ٧٤].

والمتدبر في هذه الآيات يرى أن طلبهم ودعاءهم كان مقيّداً دائماً بطلب الذرية الصالحة النافعة المباركة؛ لأن الغاية والهدف من الإنجاب والتناسل ليس الكثرة والعدد، وإنما العطاء والصلاح، فكم من قلة يُرجى خيرها وبركتها، وكم من كثرة لا خير يُرجى منها، ولا بركة تُتظر، وهذا مبدأ عام أقره القرآن الكريم في قوله ﷺ: ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٤٩].

ولقد راعى الإسلام في تشريعاته وأحكامه الضوابط والتوجيهات التي من شأنها أن تحفظ حقوق الطفل، وتجعله ينشأ نشأة كريمة، ويلقى رعاية كاملة في جميع مراحل حياته بداية من اشتراط الباءة في النكاح، حيث يقول النبي ﷺ: «يَا مَعْشَرَ

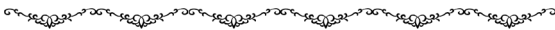
الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ  
 أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ  
 بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ» (متفق عليه)، مع بيان أَنَّ  
 (الْبَاءَةَ) المعتبرة في النكاح - فضلاً عن القدرة البدنية  
 - هي القدرة التامة على بناء أسرة مستقرة، والوفاء  
 بحقها، وليس مجرد القدرة الجسدية، وإلا لما قال  
 النبي ﷺ: «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ»، فالخطاب  
 بهذه الجملة موجه لمن يمتلك قدرة جسدية، ولا  
 يستطيع الوفاء بسائر الجوانب الأخرى المطلوبة  
 لإقامة أسرة سوية، بما في ذلك النفقة والسكن  
 والقدرة على تربية الأبناء.

\* وإن من أهم مظاهر رعاية الإسلام للطفل أن كفل  
 له حقه في الرضاعة الطبيعية حولين كاملين دون  
 أن يزاحمه طفل آخر خلال تلك المدة؛ حفاظاً على  
 حقه في التغذية الصحيحة السليمة التي من شأنها  
 أن تساعد على بناء جسده بناءً قوياً حتى ينمو في  
 صحة جيدة، فقال ﷺ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ  
 حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [سورة البقرة،



الآية ٢٣٣]، وفي ذلك تأكيد على ضرورة أن يكون هناك تنظيم بين الحمل والآخر، فالإرضاع حق للطفل، حتى إن الفقهاء اعتبروا أن الحمل الذي يحدث في وقت الإرضاع إنما هو جَوْرٌ على حق الطفل الرضيع، بل جَوْرٌ على حق كل من الرضيع والجنين، فسموا لبن الأم آنذاك لبناً غيلةً، وكأن كلا من الطفلين قد اغتال أو اقتطع جزءاً من حق أخيه، مما قد يعرض الطفلين (الرضيع، والجنين) لمشاكل في النمو، قد تصاحبها أو تصاحب أحدهما طوال حياته أو جزءاً منها، إضافة إلى المشكلات الأسرية التي قد تنتج عن تلاحق عمليتي الحمل والإرضاع، فالحمل والإرضاع المتتابعان قد يكون لهما أثر سلبي كبير في تدهور العلاقة داخل الأسرة بين الزوجين، وانعكاس سلبي على حياة الأطفال وعدم القدرة على الوفاء بحقوقهم.


وعليه فالأولى أن يأخذ كل طفل حقه في مرحلتي الحمل والإرضاع، وكذلك في التربية السوية، مع ضرورة الوفاء بحقه في المطعم والملبس والصحة



والتعليم، وقد أجاز النبي ﷺ لأصحابه العزل، وهو أحد وسائل تنظيم النسل، ويقاس عليه كل ما يستحدث من الوسائل الصحية الآمنة الميسرة طبيًا.

إنَّ التَّصْصِيرَ فِي حَقِّ الْأَبْنَاءِ، وَعَدَمَ الْوَفَاءِ بِوَأَجِبَاتِهِمْ فِي التَّرْبِيَةِ يَعِدُّ ظَلْمًا لَهُمْ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُوَضِّحُ لَنَا أَنَّنَا مَسْئُولُونَ عَنِ أَبْنَائِنَا الَّذِينَ هُمْ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِنَا، فَيَقُولُ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ». (السُّنَنُ الْكُبْرَى لِلنِّسَائِيِّ)، وَفِي رِوَايَةٍ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُولُ» (مُسْنَدُ أَحْمَدَ)، وَيَقُولُ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنِ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ». (متفق عليه).

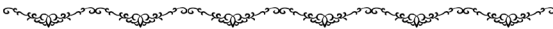
قد يظن البعض توهمًا أن الحديث عن تنظيم العملية الإنجابية يقتصر فقط على الجوانب



الاقتصادية وما يترتب عليها من آثار سلبية، ولكننا نؤكد أنه إلى جانب هذه الآثار الاقتصادية هناك آثار صحية ونفسية وأسرية ومجتمعية يمكن أن تنعكس على حياة الأطفال والأبوين والأسرة كلها، ثم المجتمع، والدولة، فالزيادة السكانية غير المنضبطة لا ينعكس أثرها على الفرد أو الأسرة فحسب، إنما قد تشكل ضرراً بالغاً للدول التي لا تأخذ بأسباب العلم في معالجة قضاياها السكانية؛ لذا فإننا نؤكد أن تصحيح المفاهيم الخاطئة فيما يتصل بالقضايا السكانية يدخل في صميم تجديد وتصويب الخطاب الديني وتصحيح مساره.

ومن هذا المنطلق يمكننا فهم حديث النبي ﷺ الذي حثَّ فيه على طلب الذرية ورغب فيها بقوله ﷺ: «تَنَاجُحُوا، تَكْثُرُوا، فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (مصنف عبد الرزاق)، وفي رواية قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإنني مكاثرٌ بكم الأمم» (سنن أبي داود) فلمباهة في الحديث ليست بالكثرة المستهلكة الضعيفة، التي تصبح

عالة على الآخرين في طعامها وكسائها ودوائها، جاهلة متخلفة تعاني الفقر والمرض والتخلف بكل أنواعه العلمي والثقافي والحضاري، فهذه كثرة سلبية تضر ولا تنفع، وتفسد ولا تصلح، عبر عنها النبي ﷺ بغشاء السيل، بقوله: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قَلِيلٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». (سُنَن أَبِي دَاوُدَ)، وإنما المباحة في الحديث الشريف تكون بالكثرة القوية، المؤمنة، الصالحة، النافعة، العاملة، المنتجة، المتزمنة أمر ربها وسنة نبيها ﷺ التي يقول فيها: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...» (صحيح مسلم)، إنها القوة التي تكون في العقل والفكر، والثقافة، والمستوى الإيماني، والتعليمي، والاقتصادي، والعسكري، فالكثرة





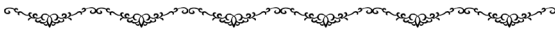
العددية القوية هي التي تحتاج إليها الأمم حين تكون مواردها الاقتصادية متسعة وتنقصها الأيدي العاملة أو القوى البشرية التي تحافظ على ثرواتها، وتحمي مقوماتها الاقتصادية، وحدودها، ومواردها الطبيعية، هذه الكثرة هي التي يمكن أن نباهي بها الأمم في الدنيا، وأن يباهي نبينا ﷺ بها الأمم يوم القيامة.

ولقد جاءت الآثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم بما يدل على فهمهم لهذا المعنى من كلام النبي ﷺ، فقد روي أن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما فتح مصر خطب فيهم قائلاً: «يَا مَعْشَرَ النَّاسِ، إِيَّايَ وَخِلَالَ أَرْبَعًا، فَإِنَّهُنَّ يَدْعُونَ إِلَى النَّصَبِ بَعْدَ الرَّاحَةِ، وَإِلَى الضِّيْقِ بَعْدَ السَّعَةِ، وَإِلَى الْمُدْلَةِ بَعْدَ الْعِزَّةِ، إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْعِيَالِ، وَإِخْفَاضَ الْحَالِ، وَالتَّضْيِيعَ لِلْمَالِ، وَالْقَيْلَ بَعْدَ الْقَالِ، فِي غَيْرِ دَرْكِ وَلَا نَوَالٍ». (شرح مشكل الآثار)، وفسر ابن عمر رضي الله عنهما: «جُهِدَ الْبَلَاءُ بِكَثْرَةِ الْعِيَالِ مَعَ قَلَّةِ الشَّيْءِ». (تاريخ نيسابور للحاكم).



وعلى هذا فإننا نؤكد أن تنظيم الأسرة ضرورة شرعية ووطنية، وأمر مباح يصل في واقعنا المعاصر، وحالنا الراهن إلى حد الضرورة الواجبة لبناء جيل قوي مثقف قادر على بناء الحضارة، ونهضة البلاد، بفكرٍ واعٍ وعقلٍ مستنيرٍ، يقدر معنى المسؤولية ويقوم بها على أكمل وجه، وأفضل صورة.

إن من مظاهر رعاية الإسلام للأطفال: الأمر بالإحسان إليهم والرحمة بهم، وحسن رعايتهم، فمن المقرر شرعاً أن الرفق لا يأتي دائماً إلا بكل خير، فالقسوة والغلظة في التربية وتقويم سلوكيات الطفل تؤدّيان في أغلب الأحوال إلى نفوره من المرّبي، وبغضه، وعدم الانصياع لكلامه، وقد ورد في الأحاديث الشريفة أنه ﷺ كان يحمل الحسن والحسين ﷺ على كتفيه ويلاعبهما، ويقبلهما، وكان منهجه ﷺ في التربية هو اللين والرفق، فعن أم المؤمنين عائشة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»



(متفق عليه)، وعن ابن بُرَيْدَةَ، عَنِ أَبِيهِ، قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ إِذْ أَقْبَلَ حَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ، وَعَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَنَزَلَ فَحَمَلَهُمَا، ثُمَّ قَالَ: (صَدَقَ اللَّهُ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [سورة التغابن، الآية ١٥])، إِنِّي رَأَيْتُ هَذَيْنِ يَمْشِيَانِ، وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى نَزَلْتُ فَحَمَلْتُهُمَا». (سُنَنِ النَّسَائِيِّ)، وَقَالَ ﷺ: «لَا يَكُونُ لِأَحَدٍ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». (سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ)، وَقَالَ ﷺ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجْرَتْ حَتَّى مَا تُجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ». (متفق عليه).

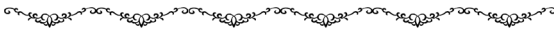
\* ومن مظاهر رعاية الإسلام للأطفال: الأمر بالعدل والمساواة بينهم جميعاً، وقد وجه النبي ﷺ الآباء والأمهات لهذا المبدأ وضرورة الالتزام به، بل قرن الأمر به بالأمر بتقوى الله ﷻ، فعَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةٌ بِنْتُ

رَوَاحَةَ: لَا أَرْضِي حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَآتَى  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُعْطِيتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ  
بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرْتَنِي أَنْ أَشْهَدَكَ يَا رَسُولَ  
اللَّهِ، قَالَ: «أُعْطِيتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ:  
لَا، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»، قَالَ:  
فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ. (متفق عليه).

ومن العدل والمساواة عدم التفرقة في المعاملة  
بين الذكر والأنثى؛ حيث يقول النبي ﷺ: «مَنْ  
كَانَتْ لَهُ أَنْثَى فَلَمْ يَبْدُهَا، وَلَمْ يَهْنَهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ  
عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ». (سُنن أبي داود).

لقد كانت تلك بعض الضوابط والتوجيهات  
التي وضعها الإسلام لحماية للأطفال ورعاية  
لهم؛ لينعموا بحياة كريمة، فهم شباب المستقبل،  
وأمل الأمة المرتقب، فعلياً أن ندرك جميعاً حجم  
مسئوليتنا تجاه أبنائنا، وأن نقوم بها خير قيام، وأن  
نعلم أننا مسئولون عنها أمام الله ﷻ يوم القيامة.

\*\*\*



## خطورة الإدمان والمخدرات على الفرد والمجتمع

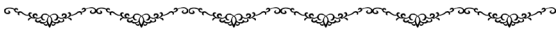
قد كرم الله ﷺ بني آدم بخلال كريمة وأنعم عليهم بنعم كثيرة امتازوا بها عن غيرهم من المخلوقات، فقد كرمهم بالعقل، وزينهم بالفهم، ووجههم بالتدبر والتفكر، فكان العقل من أكبر نعم الله على الإنسان، به يميز بين الخير والشر، والضرار والنافع، به يسعد في حياته، ويأمن في آخرته، وبه يدبر أموره وشئونه، وبالعقل يكون مناط التكليف، وهو جوهره ثمينة، يحوطها العقلاء بالرعاية والحماية، اعترافاً بفضلها، وخوفاً من ضياعها وفقدانها، وبالعقل يشرف العقلاء، فيستعملون عقولهم فيما خلقت له، كما قال ﷺ: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الحديد، الآية ١٧]. وإذا ما فقد الإنسان عقله، لم يُفَرِّق بينه وبين سائر الحيوانات والجمادات بل ربما فاقه الحيوان الأعجم بعله الانتفاع، فمن فقد عقله لا نفع فيه ولا ينتفع به، بل هو عالة على أهله ومجتمعه.



هذا العقل الثمين، هناك من لا يعتني بأمره، ولا يحيطه بالحفظ والحماية، بل هناك من يضعه تحت قدميه، ويتبع شهوته، فتعمى بصيرته، كل هذا يبدو ظاهرًا جليًا في الذي يتناول كأس خمر، أو جرعة مخدر، أو استنشاق مسكر، أو شرب مفر يُفقد الإنسان عقله؛ فينسلخ من عالم الإنسانية، ويتمص شخصية الإجرام والفتك والفاحشة؛ فتشل الحياة، ويهدم صرح الأمة، وينسى السكران ربه، ويظلم نفسه، ويقتل إرادته، ويمزق حياؤه.

ومن هنا فإن اهتمام الشرع الحنيف بنعمة العقل يتطلب من المسلم أن يحافظ عليه وأن لا يتناول من الأشياء ما يفسده أو يعطل وظيفته أو يضره ويؤذيه، ومن أجل ذلك حرم الإسلام كل ما يضر بالعقل فجعل من مقاصد الشريعة التي جاء الإسلام بالحفاظ عليها ضرورة الحفاظ على العقل.

هذا والاعتداء على العقل له صور عديدة، ومن ذلك: عدوان الشخص على عقله بتدميره عن طريق تعاطي المخدرات التي تفسده وتشل فاعليته،



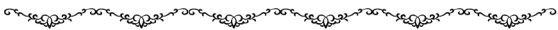


فتضر بالمجتمع الذي يعيش فيه؛ نظراً لأن هذا السلوك المنحرف من شأنه أن يفقد المجتمع عضواً كان من المفروض أن يكون عضواً صالحاً وعقلاً مفكراً يساعد في بناء مجتمعه وتقدمه.

فعقل كل فرد من أفراد المجتمع ليس حقاً خالصاً له يتصرف فيه كيف يشاء، بل للمجتمع حقٌّ فيه أيضاً باعتبار كل شخص لبنة من لبنات المجتمع، وأن مصالح الأمة لا تستقيم إلا إذا كانت عقول أبنائها سليمة من الآفات؛ قادرة على التفكير السليم والتخطيط الدقيق لكل ما من شأنه أن يعود بالخير والسعادة على الأفراد والجماعات.

ومن أجل ذلك قرر الإسلام عقوبة على الشخص إذا تناول عمداً ما يُفسد عقله؛ لأنه بذلك قد تسبب في ضرر المجتمع، فضلاً عن الضرر الذي جلبه على نفسه.

يقول الحسن البصري رضي الله عنه: (لو كان العقل يشتري، لتغالى الناس في ثمنه، فالعجب ممن يشتري بهاله ما يفسده) (المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي).



وقد أحسن الشاعر عندما قال:

وأفضل قَسَمِ الله للمرء عقله      وليس من الخيرات شيء يقاربه  
ويزري به في الناس قلة عقله      وإن كرمت أعرافه ومناسبه

ولما كان الهدف الرئيس للشريعة الإسلامية الحفاظ على مصالح العباد والبلاد من المفاسد والأضرار التي تلحق بهم حرّمت كلّ ما يذهبُ العقل أو يشوّشُ عليه، أو يخرجُه عن وعيه وإدراكه، فحرّمت الخمر والمخدرات بأنواعها، قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿سورة المائدة، الآيات ٩٠ - ٩٢﴾.

وتبنيها إلى أهمية الطاعة في الخير وضرورة الانتهاء عن الشر نلاحظ أنه عندما سمع أصحابُ النبي ﷺ هذه الآيات كانت الوقفة الأخيرة مع الشهوة التي مالت إليها النفوس، وامتثلوا ﷺ لأمر الله ﷻ في



الحال، فأريقتِ الخمورُ حتى جرت في طرق المدينة،  
وفي ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:  
«كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأَبِي بَنَ كَعْبٍ  
مِنْ فُضِيخِ زَهْوٍ وَتَمْرٍ، فَجَاءَهُمْ آتٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْخَمْرَ  
قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه: قُمْ يَا أَنَسُ فَأَهْرِفْهَا  
فَأَهْرِفْتُهَا». (صحيح البخاري)، وهذا الموقف يدل  
على سرعة الانقياد والامتثال لأمر الله تعالى.

ولقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الزمان الذي  
تكثر فيه أنواع المسكرات تحت مسميات مختلفة،  
الأمر الذي جعل بعضهم يدعي أنه لا يشرب  
الخمير التي حرّمها الله تعالى متغافلاً أن كل مسكر  
حرام أيّا كان اسمه، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه  
أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لَيْشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي  
الْخَمْرَ يُسَمُّوْنَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا». (سنن أبي داود)، لهذا  
وضع الإسلام وصفاً عاماً للخمر ينطبق على أي  
نوع من الأنواع المعروفة، أو التي تُستحدث من  
المسكّرات، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ:  
«كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ». (متفق عليه)، وعند

مسلم أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خُمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الْخُمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يَذْمُنُهَا لَمْ يَتُبْ، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ». (صحيح مسلم)، وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ» (سُنن أبي داود).

فمن هنا نعلم أن اسم الخمر شامل لكل ما يُسكر، مهما أحدث الناس له من أسماء، وسواء أكان مائعًا أم جامدًا، طالما توافر فيه المعنى المحرم وهو الإسكار، وإنما اعتبر إسكار الجنس دون القدر؛ لأن الأمر لا يتعلق بقدر معين ولا بشارب معين، بل ما أسكر جنسه أي شاربٍ فهو حرام كما دلت الأحاديث الشريفة المذكورة وغيرها.

فالخمر حرمها الله ﷻ، بل إن اللعنة تصل إلى كل من امتدت يده لها من قريب أو بعيد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْخُمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ». (سُنن أبي داود)،

ولم لا؟! ولحظة تعاطي الخمر والمخدرات هي لحظة سقوط الإيمان من قلب المؤمن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». (متفق عليه)، فكيف به إن مات وهو على هذا الحال؟! أهنأك خاتمة أسوأ من ذلك والعياذ بالله؟!!

ويلتحق بتحريم الخمر المخدرات بجميع أنواعها ومسمياتها، وكل ما يؤثر على النشاط الذهني والحالة النفسية لتعاطيها، وكل ما يتداوله المتعاطون مما يُغيب العقل أو يفتر الجسم، يستوي في ذلك كل ما يدخل الجسم بأي طريقة كانت: بشرب أو شَمٍّ أو حَقْنٍ، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفْتِرٍ». (سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ)، فالمخدرات داء عضال يفتك بشباب مجتمعنا فيجعلهم جثًا هامدةً، وعقولًا خاوية، وقلوبًا فارغةً في الوقت الذي نحتاج فيه إلى رجال يلبون نداء الوطن دفاعًا عن الأرض والعرض، ويكونون لبنة أساسية في تنمية الوطن.

ولما كان للخمر والمخدرات تأثير على عقل الإنسان نهى الله ﷺ شاربها - قبل النص على تحريمها- عن القرب من العبادة أثناء سكره، وخاصة الصلاة، فقال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء، الآية ٤٣].

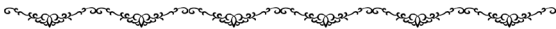
ومن هنا يجب على الأسرة أن تحافظ على عقول أبنائها من خطر الخمر والمخدرات والسموم البيضاء، حتى نعالج المجتمع من الإدمان وينتشر الأمان، ويسود السلام، ويكون الوئام، يقول ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم، الآية ٦]، وعن عبد الله بن عمر ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ



سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُورٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُورٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». (متفق عليه)، فينبغي تضافر الجهود وقيام الدول والحكومات بكل ما من شأنه أن يجنب شبابنا مخاطر الإدمان والمخدرات.

إن خطر المخدرات لا يقتصر على الأمراض بل تجر صاحبها إلى الانحدار في المستوى التربوي والتعليمي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي، وهذا يدعونا جميعاً أن نقول بصوت واحد مرتفع: لا للمخدرات، لا للإدمان.

ويجب على المجتمع بأسره أن يقف في وجوه تجار المخدرات والمهربين والمروجين والمتاجرين بالمسكرات، بل ومساعدة الحكومات في القضاء على هذه الظاهرة التي تهدد مجتمعنا في أعز ما يملك - وهم شبابنا وأبناؤنا - وأن تشدد العقوبة الرادعة على من يعشون بعقولهم، حتى يستقر المجتمع وينعم بالأمن والصحة، فقد رُفِعَ إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قومٌ يشربون الخمر فأمر بضرهم فقبل له: إن فيهم صائماً فقال ابدؤوا به، ثم قال: أما

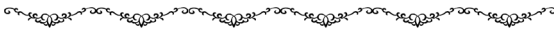




سمعت قوله ﷺ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [سورة النساء، الآية ١٤٠].

ومن ثم فواجب علينا - آباءً ومسؤولين، ومربين ومواطنين - استشعار خطورة هذا الداء، وأن نتعاون جميعاً على نبذه وبيان أضراره، فخطر المخدرات يستهدف المجتمع كله، في تدينه واقتصاده، وصحته وأخلاقه، وتماسك أسرته، واستقرار معيشته.

ويكفي استشعاراً لخطر المخدرات أن من وقع في شباكهها وذاق سمها تأتي عليه لحظة يتحول فيها من إنسان سوي إلى كائن مسعور، يمكن أن يسرق ويقتل، أو يبيع دينه في سبيل الحصول على ما يسكت خلاياه العصبية، في مشهد يشبه حالة الجنون.



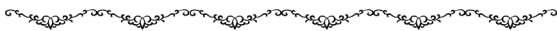
## ضوابط الأسواق وآدابها

من عظمة الدين الإسلامي أنه دين شامل لكل  
مناحي الحياة، ولما كانت النفس الإنسانية مجبولة  
على حب المال الذي به قوام حياتها وانتظام أمرها  
ومعاشها، فقد حثت الشريعة الإسلامية السمحة  
على السعي في تحصيل المال واكتسابه من طرق  
مشروعة ومباحة، فأباحت كل صور الكسب الحلال  
التي ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير،  
قال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ  
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة،  
الآية ١٧٢]، وقال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ  
لَّا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ  
الرُّسُلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا  
صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [سورة المؤمنون، الآية ٥١]،  
وقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ  
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٧٢]، ثم ذَكَرَ الرَّجُلَ

يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشَعَتْ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذَى بِالْحَرَامِ، فَانَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ». (صحيح مسلم).

ومن ثم، فقد شرع الله ﷻ لعباده البيع والشراء وصولاً إلى الغرض، ودفعاً للحاجة، حيث يقول ﷺ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [سورة البقرة، الآية ٢٧٥]، ولقد جرت عادة الناس منذ الأزل على إقامة الأسواق التي يتبادلون فيها منافعهم، ويحققون من خلالها مصالحهم، وجاءت آيات الذكر الحكيم لتبين أن ذلك سمة من سمات البشر، حيث يقول ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [سورة الفرقان، الآية ٢٠]، ويقول ﷺ على لسان أصحاب الكهف: ﴿فَاذْعَبُوا أَحَدَكُمْ يَبْرُقُكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ [سورة الكهف، الآية ١٩].

ولا شك أن الأسواق أحد أهم مظاهر التطبيق العملي للإسلام الحقيقي؛ فالمعاملات - بيعاً وشراء -





تُظهر صدق التدين من كذبه، ولقد جعل الإسلام  
للأسواق آداباً وضوابط ينبغي أن يتحلى بها المسلم  
في بيعه وشرائه، منها: ذكر الله ﷻ وحسن مراقبته،  
فلسوق دعاء يقال قبل الدخول، حيث قال ﷺ:  
«مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ  
لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُجِيبِي وَيُمِيتُ،  
وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ  
أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ». (سُنن ابن  
ماجه)، على أننا نؤكد أن ذكر الله لا يكون باللسان  
فقط؛ وإنما يكون أيضاً بحسن مراقبة الله ﷻ في  
تحري الحلال والبعد عن الحرام.

ومنها: الصدق واجتناب الكذب: فلا يجوز  
للمسلم أن يكذب ليروج لسلعته، فإن هذا الترويح  
الكاذب للسلعة يكون سبباً في محق البركة في الدنيا،  
والطرد من رحمة الله ﷻ في الآخرة، ويشتد الإثم  
ويعظم إذا سولت له نفسه أن يُقسِم كاذباً ليستحلَّ  
مال غيره، حيث يقول نبينا ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ

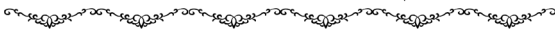
مَا لَمْ يَتَمَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لهُمَا فِي بَيْعِهِمَا،  
وَأِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». (متفق عليه)،  
ويقول ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا  
يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا  
أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ  
كَاذِبَةٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ  
فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ  
فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ». (متفق عليه)، وفي رواية:  
«الْمُنْفِقُ سِلْعَتُهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ»، ويقول نبينا ﷺ:  
«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا  
مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ». (متفق  
عليه)، وكان ﷺ يقول لأصحابه: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ  
الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنْفِقُ، ثُمَّ يَمْحَقُ». (صحيح  
مسلم).

ومنها: الأمانة والتراضي وعدم الغش، والأمانة  
تقتضي الوضوح الكامل في البيع والشراء حتى  
يتحقق الرضا التام بين الطرفين، يقول ﷺ: ﴿إِلَّا  
أَنْ تَكُونَ تَجَاوِزَةً عَنِ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء، الآية

٢٩]، ولقد قال النبي ﷺ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا  
 ابْتَعْتَ فَاتَّكَلْ، وَإِذَا بَعْتَ فَكِلْ». (السُّنَنُ الْكُبْرَى  
 للبيهقي)، وَعَنِ السَّائِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ،  
 فَجَعَلُوا يُنُونُ عَلَيَّ وَيَذَكُرُونِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
 «أَنَا أَعْلَمُكُمْ»؛ يَعْنِي بِهِ، قُلْتُ: صَدَقْتَ بِأَيِّ  
 أَنْتَ وَأُمِّي: كُنْتَ شَرِيكِي فَنِعَمَ الشَّرِيكُ، كُنْتَ لَا  
 تُدَارِي، وَلَا تُمَارِي». (سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ).

ولقد حذر النبي ﷺ أصحاب الضمائر الفاسدة  
 التي لا تراقب ربها، وحذر كل من تسول له نفسه  
 الخبيثة خداع الناس وأكل أموالهم بالباطل من الغش  
 فقال ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (صحيح مسلم)،  
 كما وجه ﷺ الشركاء إلى أن تكون الأمانة والصدق  
 هي أساس الشراكة بينهما، فقال ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ:  
 أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَإِذَا  
 خَانَ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنَهُمَا». (سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ).

ومن الآداب كذلك: عدم تطفيف الكيل والميزان،  
 والتطفيف معناه: الاستيفاء من الناس عند الكيل  
 أو الوزن منهم، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو



الوزن لهم، ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير التي يتعامل بها الناس، فالله ﷻ أمر بإقامة الوزن بالقسط في كتابه الكريم، حيث يقول ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٣٥]، وتوعد ﷻ من فعل ذلك فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [سورة المطففين، الآيات ١-٣].

وقد حذر نبيُّ الله شعيب ﷺ قومه من بخس الناس أشياءهم والتطفيف في المكيال والميزان، كما حكى ذلك القرآن الكريم، فقال ﷻ: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَّ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٨٥].

ومنها: عدم التعدي على حقوق الآخرين، ومن ذلك نهى النبي ﷺ عن أن يبيع الإنسان على بيع

أخيه، فقال ﷺ: «لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ». (متفق عليه)، وفي رواية: «لَا يَبِيعُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ أَوْ يَتْرُكَ»، وذلك من الأدب الرفيع في البيع والشراء، فلا يزايد على من يشتري سلعة، وكذلك لا ينفّر من سلعة أخيه فيعيبها حتى يبيع سلعته .

ومنها: عدم الاحتكار؛ ويعني حبس السلعة والامتناع عن بيعها، أو محاولة الاستحواذ عليها في السوق بقصد رفع أسعارها وزيادة تحقيق الأرباح على حساب الناس والمجتمع، لذا نهى ﷺ عن كل ألوان الاحتكار، فقال ﷺ: «مَنْ أَحْتَكَرَ يَرِيدُ أَنْ يُغَالِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ، وَقَدْ بَرَأْتُ مِنْهُ ذِمَّةَ اللَّهِ» (مسند أحمد)، وفي ذلك ما يؤكد حرمة استغلال حوائج الناس، أو التلاعب بأقواتهم وحاجاتهم الأساسية التي يحتاجون إليها، سواء في طعامهم أم في غيره، لأن ذلك يعدّ كسبًا خبيثًا محرّمًا، وهذا ما حدّرنا منه ديننا الحنيف، فقال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِحْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا  
 أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿[سورة النساء، الآية ٢٩]،  
 وَقَالَ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ،  
 وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» (متفق عليه).

ولله در القائل:

أَيَا بَائِعًا بِالْغَشِّ أَنْتَ مُعَرَّضٌ لِدَعْوَةِ مَظْلُومٍ إِلَى سَامِعِ الشُّكْوَى  
 فَكُلٌّ مِنْ حَلَالٍ وَازْتِدَعٌ عَنْ مُحْرَمٍ فَلَسْتَ عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ غَدًا تَقْوَى  
 لقد حرمت الشريعة كل صور البيع والشراء  
 وسائر المعاملات التي تؤدي إلى التلاعب بأقوات  
 الناس واستغلال حاجاتهم الضرورية، نظرًا لخطورتها  
 على الفرد والمجتمع؛ لأنها تؤدي إلى انتشار العداوة  
 والبغضاء، وتقطع أواصر المحبة والمودة والرحمة بين  
 جميع أفراد الأمة، ولقد حثت الشريعة على السحاحة  
 وحسن المعاملة في البيع والشراء، قَالَ ﷺ: «رَحِمَ  
 اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى».  
 (صحيح البخاري)، وقال ﷺ: «غَفَرَ اللَّهُ لِرَجُلٍ كَانَ  
 قَبْلُكُمْ، كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا إِذَا اشْتَرَى، سَهْلًا  
 إِذَا اقْتَضَى». (سنن الترمذي).

إن كل ما يدعو للتكافل والتراحم وسد حاجات الناس هو من أولى الأولويات؛ إذ لا بد من التكافل والتراحم والتعاون بين الناس، وخاصة في وقت الشدائد والأزمات، حتى يتحقق مبدأ الأخوة بين المؤمنين الذي نادى به القرآن الكريم، قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية ١٠]، وقال ﷺ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية ٧١]، وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته». (متفق عليه).

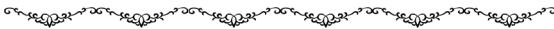
ولقد تجلّى هذا الأمر عملياً في حياة الرسول ﷺ في مواقف كثيرة، منها: ما كان يفعله الأشعريون الذين ضربوا أروع الأمثلة في التكافل، قال ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ



اقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسوية، فهم مني وأنا منهم» (متفق عليه)، فهذا نموذج عملي تتفني فيه كل مظاهر الفردية والأنانية، ويستحضر روح الجماعة والأخوة الممزوجة بفضيلة المحبة والإيثار.

ومن ثم فينبغي أن تتكاتف كل الجهود المخلصة للعمل على وضع الآليات التي تكسر الاحتكار في كل مقومات الاقتصاد، والقضاء على هذه الأدواء الخبيثة التي تهدد استقرار المجتمع، والعمل الجاد على رفع المعاناة عن الناس، وبخاصة الطبقات الأكثر فقراً والأشد احتياجاً، وهذا واجب نتشارك فيه جميعاً، كل بما يستطيع، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة، الآية ١٩٧].

\*\*\*

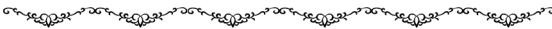




## الإتقان سبيل الأمم المتحضرة

إن الإتقان في العمل والاهتمام به والمحافظة عليه والتميز فيه من أهم القيم والمبادئ التي دعا إليها الإسلام، فهو أساس نهضة الأمة، به يعلو شأنها، وتستقيم حياتها، وبه يكون بناؤها بناءً قوياً شامخاً، والإتقان هو الذي تقوم عليه الحضارات، ويعمر به الكون، وكذلك هو هدف من أهداف الدين يسمو به المسلم ويرقى به إلى مرضاة الله ﷻ والإخلاص له؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، وإخلاص العمل لا يتم إلا بإتقانه.

ولقد لفت الله ﷻ أنظارنا إلى الإتقان، حيث خلق كل شيء بإتقان معجز، يقول ﷻ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَنْ نَرَى لَهُ شَيْئاً إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ﴾. [سورة النمل، الآية ٨٨]، وأوجب على الإنسان السعي نحو الإحسان والإجادة، ونهاه عن الإفساد فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة



البقرة، الآية ١٩٥]، وقال: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص، الآية ٧٧].

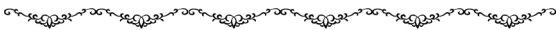
ولقد دعانا القرآن الكريم في كثير من آياته إلى إتقان العمل وتجويده والإخلاص في أدائه؛ طلباً لمرضاة الله ﷻ، ونصحاً لعباده، وخدمة وتعاوناً بين أفراد المجتمع، ووعده على ذلك الثواب العظيم والثناء الحسن في الدنيا والآخرة، وبين أن الإنسان وهو يزاول عملاً ما يكون تحت رقابة الله العليم بمكنونات الصدور وخفايا القلوب، وأنه لا يغيب عنه مثاقيل الذر من أعمال العباد، فهو ﷻ يسطرها لهم ويسجلها عليهم ويجازيهم بها يوم يلقونه، قال ﷻ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۗ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة يونس، الآية ٦١]، فالله ﷻ مطلع على جميع أحوالكم في حركاتكم وسكناتكم، فراقبوا الله ﷻ في أعمالكم



وأدوها على وجه النصيحة والاجتهاد فيها، فعلى كل عامل أن يتقن عمله ويبذل فيه الجهد لإحسانه وإحكامه تعبدًا وتقربًا إلى الله ﷻ قبل أي شيء آخر، فالله ﷻ هو الذي يراه ويراقبه في عمله، يراه في مصنعه وفي مزرعته وفي أي مجال من مجالات سعيه، يقول ﷻ: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٥].

يقول الشوكاني ﷻ: قوله: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فالأمر فيه تخويف وتهديد: أي إن عملكم لا يخفى على الله، ولا على رسوله ولا على المؤمنين، فسارعوا إلى أعمال الخير، وأخلصوا أعمالكم لله ﷻ، وفيه أيضًا ترغيب وتنشيط، فإن من علم أن عمله لا يخفى سواء أكان خيرًا أم شرًّا ارجب إلى أعمال الخير، وتجنب أعمال الشر، وما أحسن قول زهير:

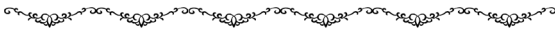
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم





والمراد بالرؤية هنا: العلم بما يصدر منهم من الأعمال، ثم وعد ﷺ بوعيد شديد فقال: ﴿وَسْتَرْدُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية ١٠٥] أي: وستردون بعد الموت إلى الله ﷻ، الذي يعلم ما تسرونه وما تعلنونه، وما تخفونه وما تبدونه. (فتح القدير).

وفي السنة النبوية دعوة إلى محاولة الوصول إلى الأفضل والأحسن والأتقن، ففي الصلاة يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وفي قراءة القرآن يقرؤه الماهر به الذي بشره الرسول ﷺ بأنه مع السفارة الكرام البررة، وفي قصة مشروعية الأذان حينما رأى عبد الله بن زيد الرؤيا قال له الرسول ﷺ: «أَلْقِهَ عَلَىٰ بِلَالٍ، فَإِنَّهُ أُنْدَىٰ مِنْكَ صَوْتًا» (سُنن أبي داود)، ويأمر من يلي أمر الميت بقوله: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ» (صحيح مسلم). وهكذا بينت السنة النبوية أن كل عمل يعمله الإنسان لا بد وأن يكون حسناً متقناً، وأن يراعي الله ﷻ فيه؛ لأن الله مطلع على قلوب العباد ويحصي عليهم أعمالهم دقت أو جلت.

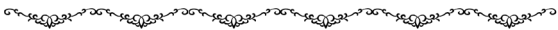


فالإحسان والإتقان والحرص على بلوغ الكمال في العمل قربة وطاعة لله ﷻ، وإن لم يتنفع الإنسان بذلك في الدنيا؛ لأنه فعل شيئاً يحبه الله ﷻ، فعَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلاَيْبِ الجُرْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي كُلاَيْبٌ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةَ شَهِدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا غُلَامٌ أَعْقِلٌ وَأَفْهَمٌ، فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُمَكِّنُ لَهَا، قَالَ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَوُّوا حُدَّ هَذَا» حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَمَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّ هَذَا لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ». (شعب الإيمان لليهقي)، فهذا هو رسول الله ﷺ يأمر بالإتقان في موضوع لا ينفَع ولا يضر، لكنه يريد أن يُربيَ المسلمين على الإِجادة والإِتقان، يريد تربية الشخصية المسلمة على تَلُمُّسِ طريق الكمال. والذي يتقن عمله ويحسنه لن يضيع سعيه وجهده، بل سينال جزاءً حسنًا في الدنيا والآخرة، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [سورة الكهف، الآية ٣٠]،



ويقول ﷺ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية ١٩٥]، فالذي يسعى نحو الإجابة والإتيان في كل عمل يعملُه صالحٌ فاضلٌ، نورُ الهدى ساطع في قلبه، حريص على حقوق الله وحقوق الناس، معتصم بالفضيلة يضع كل شيء في مكانه الجدير به واللائق له، فالمسلم مطالب بالإتيان في كل أعماله التعبديّة والسلوكية وما يتصل منها بالمعاش؛ لأن كل عمل يقوم به المسلم يعد عبادة ما دام مقروناً بنية التعبد لله ﷻ يُجازى عليه، قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ١٦٢]

أما الذي لا يتقن عمله ولا يراقب الله ﷻ فيه فإنه آثم، آثم بقدر ما يتسبب فيه من ضياع الأموال وإهدار الطاقات، فهذا الموظف الذي يقصّر ويهمل ولا يتقن عمله ويرضى لنفسه أن يتقاضى أجرًا حرامًا، يخاصمه فيه الشعب كله يوم القيامة، فهذا عمر ﷻ يقول لمعقيب عامله على بيت المال الذي

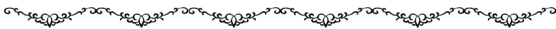




أعطى ولده درهمًا وجدّه وهو يكنس بيت المال:  
«ويحك يا معقيب! أوجدت عليّ في نفسك شيئًا؟  
قال: قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن  
تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم؟!» (الورع  
لابن أبي الدنيا).

فهذا الذي يعمل في رصف الطرق فلا يراعي  
الله في عمله فيتسبب في فساد الطرق آثم بقدر ما  
يتسبب فيه من حوادث وقتل، وهذا الفلاح الذي  
لا همّ له إلا جمع المال وفي سبيله يهلك أجسام الناس  
بالمبيدات السامة غشاش قاتل، يأثم بقدر كل كبد  
أفسده وبقدر كل كُليّة أفسلها، وهذا الصانع الذي  
لا يتقن صنعه فينتج سلعة مغشوشة آثم غشاش  
يدخل فيمن تبرأ منهم النبي ﷺ حين قال: «مَنْ  
حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّانَا فَلَيْسَ  
مِنَّا». (صحيح مسلم).

فمن كانت هذه صفتهم يتحملون وزر تأخر  
الأمة وتخلف البلاد، نشكّوهم إلى الله ﷻ، يقول  
عمر رضي الله عنه: «إلى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة

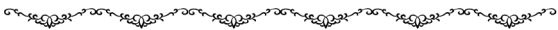




القوي» (مجمع الأمثال للميداني)، أما يعلم هؤلاء جميعاً أن الله يراهم، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [سورة العلق، الآية ١٤]، ألم يعلموا أن الرقيب عليهم هو الله ﷻ؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء، الآية ١].

إن من أشد أسباب تأخرنا وإهدار الطاقات والثروات في بلادنا وجود نوعية من الموظفين أو من العاملين في المجالات المختلفة لا يباليون بما وقعوا فيه من تقصير أو تأخر أو غياب، يخرجون من أعمالهم قبل إنهاء ما كلفوا به من أعمال وأداء ما حملوه من أمانة، متناسين أن هذه الأعمال أمانة سيسألون عنها يوم القيامة، ﴿وَقَفُّهُمْ<sup>ط</sup> إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات، الآية ٢٤].

إن وطننا الحبيب لن ينهض ويحقق آماله إلا بعد أن يزكي كل عامل قلبه بالإخلاص وينقي لبُّه بالإحسان، ويعلم أنه لن تعلق مرتبته إلا بحسن العمل وجودة الإنتاج، وسلامة الصنع ونبيل المقصد، وسيجد المجتمع عند ذلك في إتقان العمل ما يوفر الجهد والمال والوقت، وما يحفظ الحقوق





من الضياع والإهمال، وهنا تسعد البلاد وتنعم بهذا الإتقان، وتجنّي من ثمار عقول وسواعد أبنائها ما يغنيها عن غيرها ويحفظ لها عزتها وكرامتها، أما حين يسود الإهمال ويستبدُّ الكسل والخمول، وينعدم الضمير فستجرع المجتمع مرارة ذلك، ويسهم ذلك في تخلف الأمة برمتها.

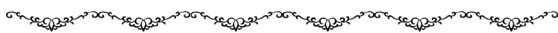
إن من أسباب تقدم غيرنا في الميادين المختلفة إتقان العمل وإحسانه وقيام كل فرد بواجبه وما يناط به من عمل على خير وجه، فمن أتقن وأحسن تقدم وإن كان كافرًا، ومن أساء وقصر شقي وتأخر وإن كان مسلمًا؛ ومن ثمّ قيل: **إِنَّ اللَّهَ يُقِيمُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلَا يُقِيمُ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةً،** فهذه سنة الله في خلقه، وقد قال الله ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [سورة هود، الآية ١٥]، وفي نفس السورة يقول ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [سورة هود، الآية ١١٧]، فالله ﷻ لا يخلف سنته مع من يصلحون بها دنياهم ولو كانوا أهل



إشراك، فإذا ما أدرك المسلم أهمية الإتيان وضرورته وما يؤدي إليه من نتائج جيدة، وإذا أدرك كذلك عاقبة الإهمال والتقصير وخطورته وما يؤدي إليه من عواقب وخيمة دفعه ذلك إلى الإتيان وإجادة ما يقوم به من أعمال لينفع نفسه ومجتمعه.

ما أحوجنا اليوم إلى أن نربي أجيالاً على مراقبة الله ﷻ، فالمراقبة تكسب الأمة المسلمة الإخلاص في العمل، كما أنها تجرد العمل من مظاهر النفاق والرياء، فكثير من الناس يتقن عمله ويجوده إن كان مراقباً من رئيس له، أو قصد به تحقيق غايات له أو سعى إلى السمعة والشهرة لأنه يفتقد المراقبة الداخلية التي تجعله يؤدي عمله بإتيان في كل الحالات دون النظر إلى الاعتبارات التي اعتاد بعضهم عليها.

فأين نحن من مراقبة الله ﷻ؟! وأين نحن من الإحسان الذي ذكره النبي ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (متفق عليه)، ورحم الله ابن المبارك حيث قال لرجل: «رَاقِبِ

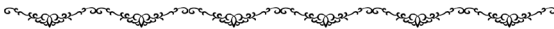




الله ﷻ، فسأله عن تفسيره؛ فقال: كن أبدًا كأنك ترى الله ﷻ (إحياء علوم الدين)، ويقول أبو بكر ﷺ: «إن عليك من الله عيونًا تراك». (مجمَع الأمثال للميداني)، فالمسلم يستشعر دائمًا أن الله ﷻ يراه ويطلع عليه فيتقن عمله إرضاءً لله ﷻ، بغض النظر عن يراه ويراقبه من الخلق.

إن تَمَثَّلَ هذه المعاني الإيمانية هو المخرج مما يعانيه المجتمع، فإنه من الصعب بل ربما كان من المستبعد أو المستحيل أن نجعل لكل إنسان حارسًا يجرسه، أو مراقبًا يراقبه، وحتى لو فعلنا ذلك، فالحارس قد يحتاج إلى من يجرسه، والمراقب قد يحتاج إلى من يراقبه، لكن من السهل أن نُربِّي في كل إنسان ضميرًا حيًّا ينبض بالحق ويدفع إلى الخير؛ لأنه يراقب من لا تأخذه سنة ولا نوم.

\*\*\*

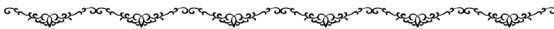






## فهرس الموضوعات

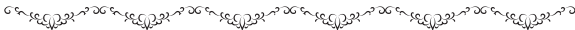
٥	مقدمة
٩	أهمية التخطيط في حياة الفرد والمجتمع.
١٩	حماية الشأن العام والمصلحة العامة.
٣٣	مفهوم عهد الأمان في العصر الحاضر.
٤٣	فروض الكفايات ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي.
٥٥	ترتيب الأولويات وأثره في حياة الفرد والمجتمع.
٦٩	رعاية المسنين وحماية حقوقهم.
٨١	حق الطفل في الرعاية والنشأة الكريمة.
٩٣	خطورة الإدمان والمخدرات على الفرد والمجتمع.
١٠٣	ضوابط الأسواق وآدابها.
١١٣	الإتقان سبيل الأمم المتحضرة.





## منافذ بيع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المتديان ١٣ ش المتديان – السيدة زينب أمام دار الهلال – القاهرة	مكتبة المعرض الدائم ١٩٤ كورنيش النيل – رملة بولاق مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ت: ٢٥٧٧٥٢٢٨ – ٢٥٧٧٥٠٠٠ ٢٥٧٧٥١٠٩ داخل ١٩٤
مكتبة ١٥ مايو مدينة ١٥ مايو – حلوان خلف مبنى الجهاز	مكتبة مركز الكتاب الدولي ش ٢٦ يوليو – القاهرة ت: ٢٥٧٨٧٥٤٨
مكتبة الجزيرة ١ ش مراد – ميدان الجزيرة – الجزيرة ت: ٣٥٧٢١٣١١	مكتبة ٢٦ يوليو ش ٢٦ يوليو – القاهرة ت: ٢٥٧٨٨٤٣١
مكتبة جامعة القاهرة خلف كلية الإعلام – بالحرم الجامعى بالجامعة – الجزيرة	مكتبة شريف ش ٣٦ شريف – القاهرة ت: ٢٣٩٣٩٦١٢
مكتبة رادوييس ش الهرم – محطة المساحة – الجزيرة مبنى سينما رادوييس	مكتبة عرابى ٥ ميدان عرابى – التوفيقية – القاهرة ت: ٢٥٧٤٠٠٧٥
مكتبة أكاديمية الفنون ش جمال الدين الأفغانى من شارع محطة المساحة – الهرم مبنى أكاديمية الفنون – الجزيرة	مكتبة الحسين مدخل ٢ الباب الأخضر – الحسين – القاهرة ت: ٢٥٩١٣٤٤٧





مكتبة المنيا (فرع الجامعة)  
مبنى كلية الآداب — جامعة المنيا — المنيا

مكتبة الإسكندرية  
٩٤ ش سعد زغلول — الإسكندرية  
ت : ٠٣ / ٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة طنطا  
ميدان الساعة — عمارة سينما أمير  
— طنطا  
ت : ٠٤٠ / ٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة الإسمايلية  
التعليق — المرحلة الخامسة — عمارة ٦  
مدخل (أ) — الإسمايلية  
ت : ٠٦٤ / ٣٢١٤٠٧٨

مكتبة المحلة الكبرى  
ميدان محطة السكة الحديد  
عمارة الضراب سابقاً — المحلة

مكتبة جامعة قناة السويس  
مبنى الملحق الإداري — بكلية الزراعة  
— الجامعة الجديدة — الإسمايلية  
ت : ٠٦٤ / ٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة دمنهور  
ش عبدالسلام الشاذل — دمنهور  
مكتب بريد المجمع الحكومي — توزيع  
دمنهور الجديدة

مكتبة بورفؤاد  
بجوار مدخل الجامعة  
ناصية ش ١١، ١٤ — بورسعيد

مكتبة المنصورة  
٥ ش السكة الجديدة — المنصورة  
ت : ٠٥٠ / ٢٢٤٦٧١٩

مكتبة أسوان  
السوق السياحي — أسوان  
ت : ٠٩٧ / ٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة منوف  
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية  
جامعة منوف

مكتبة أسيوط  
٦٠ ش الجمهورية — أسيوط  
ت : ٠٨٨ / ٢٣٢٢٠٣٢

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية  
مكتبة طلعت سلامة للصحافة  
والإعلام

مكتبة المنيا  
١٦ ش بن خصيب — المنيا  
ت : ٠٨٦ / ٢٣٦٤٤٥٤

ميدان التحرير — الزقازيق  
ت : ٠٥٥ / ٢٣٦٢٧١٠  
ت : ٠١٠٠٦٥٣٣٧٣٣٢

